

كتب الفراشة - القصص العالمية



الخطوف



كتب الفراشة - القِصص الغالِيّة

المخطوف



أعادَ حكايتها: الدكتور ألبير مُطْلَق
عن قصّة روبرت لويس ستيفنسون



مكتبة لبنات ناشرون

مَكْتَبَةُ لَبْنَانَ نَاشِرُونَ ش.م.

زقاق البلاط - ص.ب. ٩٢٣٢ - ١١

بَيرُوت - لَبْنَانَ

وُكَلَاءُ وَمُوزَعُونَ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ

© الْحَقُوقُ الْكَامِلَةُ مَحْفُوظَةٌ

لِمَكْتَبَةِ لَبْنَانَ نَاشِرُونَ ش.م.

الطَبْعَةُ الْأُولَى ١٩٩٤

رَقْمُ الْكِتَابِ 01 C 196806

طُبِعَ فِي لَبْنَانَ



مقدمة

ظَهَرَتْ رِوَايَةُ «الْمَخْطُوف» لِرُوبرْت لُويس سْتيفنسون سَنَةَ ١٨٨٦ ، عَلَى شَكْلِ عِدَّةِ حَلَقَاتٍ فِي مَجَلَّةٍ لِلْأَحْدَاثِ نَهَتْهُمْ بِقِصَصِ الْمَغَامَرَاتِ ، ثُمَّ نُشِرَتْ ، فِي الْعَامِ تَفْسِيحًا ، فِي كِتَابٍ . وَقَدْ اكْتَسَبَتِ الرِّوَايَةُ ، عَبْرَ السَّنِينَ ، شُهْرَتَهَا كَرَائِعَةٍ أَدَبِيَّةٍ وَكِفَافَةٍ مَغَامَرَاتٍ مِنَ الطَّرَازِ الرَّفِيعِ ، لِأَنَّهَا حَافِلَةٌ بِكُلِّ عَوَامِلِ التَّشْوِيقِ مِنْ تَنَوُّعِ الشَّخْصِيَّاتِ ، إِلَى وَصْفِ أَعْمَالِ الْخَطْفِ وَرَسْمِ الْخُطَطِ وَالْمُؤَامَرَاتِ ، إِلَى الْجَرَائِمِ الْمُرَوَّعَةِ وَالْمُطَارَدَاتِ الْمُثِيرَةِ ، كُلُّ ذَلِكَ فِي سَرْدٍ تَفْصِيلِيٍّ رَشِيقٍ .

تَجْرِي أَحْدَاثُ الرِّوَايَةِ فِي إِسْكُتْلَنْدَا بَعْدَ خَمْسِ سَنَاتٍ مِنْ فَشْلِ آلِ سْتِوَارْتِ فِي إِيصَالِ الْأَمِيرِ تشارلز إِلَى الْعَرْشِ . وَقَدْ نُفِلَتْ كُلُّ جَوَانِبِ تِلْكَ الْفَتْرَةِ بِدِقَّةٍ تَجْعَلُ الْكِتَابَ رِوَايَةً تَارِيخِيَّةً مُنْتَعَةً وَمُفِيدَةً لِلْكِبَارِ وَلَيْسَ لِلْفِتْيَانِ فَقَطْ . أَفَادَ سْتِيفنسون مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِطَبِيعَةِ جِبَالِ إِسْكُتْلَنْدَا - خِلَالَ حَدَائِثِهِ - فَجَاءَ تَصْوِيرُهُ لِمَسْرَحِ الْأَحْدَاثِ مُفَعَّمًا بِالْحَيَوِيَّةِ وَالِدَقَّةِ .

كَانَ سْتِيفنسون إِسْكُتْلَنْدِيًّا مُوَلَعًا بِتَارِيخِ بِلَادِهِ وَأَرَادَ أَنْ يُصَوِّرَ حَقِيقَةً مِنْ ذَلِكَ التَّارِيخِ ، فَجَعَلَ الْحَادِثَةَ التَّارِيخِيَّةَ مِحْوَرًا الْقِصَّةِ وَبَنَى حَوْلَهَا تَفَاصِيلَ الْحَبِيكَةِ . كَانَ يُعْجَبُ بِأَخْبَارِ الْأَبْطَالِ الشُّجْعَانِ الْمَغَامِرِينَ ، وَقَدْ اخْتَشَدَتْ فِي مُخِيلَتِهِ صُورُ هَؤُلَاءِ مُنْذُ أَنْ كَانَ صَبِيًّا ، يُلَازِمُ الْفِرَاشَ بِسَبَبِ الْمَرَضِ وَيَقْضِي وَقْتَهُ بَيْنَ الْقِرَاءَةِ وَالتَّأَمُّلِ . وَزَادَ مِنْ حُبِّهِ لِلْمَغَامَرَاتِ كَثْرَةُ رِحَالَتِهِ فِي كِبَرِهِ بِالرَّغْمِ مِنْ أَوْضَاعِهِ الصَّحِيَّةِ الصَّعْبَةِ .

أضِفْ إِلَى ذَلِكَ ، أَنَّهُ لَيْسَ بِمَقْدُورٍ أَيُّ كَاتِبٍ أَنْ يَنْفُذَ إِلَى الْمَعْرِى الْحَقِيقِيِّ لِأَسْطُورَةِ
«الأمير تشارلز» وَأَنْ يُصَوِّرَهَا بِهَذَا الْأُسْلُوبِ الرَّائِعِ ، مَا لَمْ يَكُنْ صَاحِبَ رُؤْيَةٍ رُومَنْطِيَّةٍ
شَفَافَةٍ كَسْتِيْفَنسُونِ . وَهَكَذَا نَرَى أَنَّ أَلْنَ سْتِيوَارْت فِي «الْمَخْطُوفِ» صَاحِبُ شَخْصِيَّةٍ
نَابِضَةٍ تُجَسِّدُ الْأَسْطُورَةَ بِكَامِلِهَا . وَلَا يَسَعُ قَارِئُ هَذِهِ الرِّوَايَةِ إِلَّا أَنْ يَتَصَوَّرَ نَفْسَهُ وَسَطَ
وَقَائِعِ حَيَّةٍ تَتَحَرَّكُ حَوْلَهُ . وَكَأَنَّ سْتِيْفَنسُونِ نَفْسَهُ كَانَ عَلَى عِلْمٍ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ : «لَقَدْ
تَحَرَّكَ الْكِتَابُ أَمَامِي» .



المخطوف

بَدَأَتْ قِصَّةُ مُغَامِرَاتِي فِي أَوَّلِ خَرِيرَانِ (يونيه) من عام ١٧٥٧.

فِي يَوْمٍ مُشْرِقٍ مِنْ أَيَّامِ ذَلِكَ الشَّهْرِ تَرَكْتُ بَيْتِي الْعَتِيقَ فِي مَدِينَةِ إِسْنَدِينَ إِلَى غَيْرِ رَجْعَةٍ. وَرَافَقَنِي فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ السَّيِّدُ كَامِبِلُ، صَدِيقِي وَصَدِيقُ وَالِدِي مِنْ قَبْلُ.

قَالَ لِي السَّيِّدُ كَامِبِلُ فِي أَثْنَاءِ سَيْرِنَا: «أَأَنْتَ آسِيفُ لِتْرَكِكَ إِسْنَدِينَ يَا رُوَيْنُ؟»
أَجَبْتُ قَائِلًا: «لَا أَذْرِي، يَا سَيِّدِي. إِسْنَدِينَ مَكَانٌ لَطِيفٌ، وَقَدْ كُنْتُ هُنَا سَعِيدًا جَدًّا. لَكِنَّ الْآنَ، وَقَدْ مَاتَ وَالِدَايَ كِلَاهُمَا، عَلَيَّ أَنْ أَبْدَأَ حَيَاةً جَدِيدَةً. فَأَنَا قَتِيٌّ وَأُرِيدُ أَنْ أُسْتَكْشِفَ الْعَالَمَ.»

قَالَ السَّيِّدُ كَامِبِلُ: «مَا دُمْتَ قَدْ عَزَمْتَ عَلَى الرَّحِيلِ، فَعَلَيَّ أَنْ أُطْلِعَكَ عَلَى مِيرَاثِكَ، كَمَا أَوْصَانِي أَبِيكَ. فَقَدْ تَرَكَ لَكَ أَبِيكَ رِسَالَةً تَحْمِلُهَا إِلَى مَالِكِ قَصْرِ آلِ شُوزِ، الْقَرِيبِ مِنْ كَرَامُنْد.»

سَأَلْتُ فِي دَهْشَةٍ: «وَمَا عِلَاقَتِي بِقَصْرِ آلِ شُوزِ؟ وَأَيُّ مِيرَاثٍ تَتَحَدَّثُ عَنْهُ؟»
أَجَابَ: «لَا أَعْرِفُ يَا رُوَيْنُ، لَكِنَّكَ تَتَمَيَّ إِلَى تِلْكَ الْأُسْرَةِ، فَاسْمُكَ الْكَامِلُ هُوَ رُوَيْنُ فُور آلِ شُوزِ. وَأُسْرَتُكَ هَذِهِ اسْكُوتْلَنْدِيَّةٌ عَرِيقَةٌ رَفِيعَةُ الْمَقَامِ.»
سَلَّمَنِي السَّيِّدُ كَامِبِلُ رِسَالَةً أَبِي وَودَّعَنِي وَدَاعًا حَارًّا وَمَضَى.



أَلْقَيْتُ نَظْرَةً عَلَى الظَّرْفِ، فَعَرَفْتُ خَطَّ أَبِي. وَقَرَأْتُ مَا يَأْتِي : «إِلَى إِبْنِزَر فور، قَصْرِ آلِ شوز. ابْنِي، رُوَيْنَ، يُسَلِّمُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ.»

أَخَذَ قَلْبِي يَخْفِقُ خَفَقَانًا سَرِيعًا. فَأَنَا ابْنُ مُدْرَسٍ اسْكُتْلَنْدِيٍّ فَقِيرٍ، وَكُنْتُ يَوْمَها فِي السَّابِعَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِي، وَلَعَلَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ تَفْتَحُ لِي بَابَ الْمُسْتَقْبَلِ.

وَصَلْتُ أَدْبِرَهُ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي. وَتَرَكْتُ تِلْكَ الْمَدِينَةَ الصَّاحِبَةَ أَثَرِها فِي نَفْسِي فَشَعَرْتُ بِالْإِنْشِرَاحِ. لَكِنْ، مَعَ بَدْءِ رِحْلَتِي غَرْبًا إِلَى مَدِينَةِ كَرَامُنْد، سُرْعَانِ مَا أَخَذَ ذَلِكَ الْإِنْشِرَاحُ يَتَحَوَّلُ إِلَى اكْتِنَابٍ. فَقَدْ كُنْتُ كُلَّمَا سَأَلْتُ أَحَدًا عَنِ الطَّرِيقِ إِلَى قَصْرِ آلِ شوز نَظَرَ إِلَيَّ نَظْرَةً ارْتِيَابٍ أَوْ حَذَرٍ مِنْ الْإِقْتِرَابِ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ.

وَقَابَلْتُ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ عَجُوزًا مَجْنُونَةً النَّظَرَاتِ، فَتَجَرَّأْتُ وَسَأَلْتُهَا عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي أَقْصِدُ. أَشَارَتْ الْعَجُوزُ إِلَى قَصْرِ قَانِمٍ مُهْمَلٍ شَيْءٍ مَهْجُورٍ، وَصَاحَتْ بِصَوْتٍ غَاضِبٍ :

«ذَاكَ هُوَ قَصْرُ آلِ شوز ! لَعَنَ اللَّهُ سَاكِنِيهِ ! !

صَاحَتْ صَيِّحَتَهَا تِلْكَ وَمَضَتْ، تَارِكَةً إِنَايَ فِي حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِ ذَلِكَ الثُّفُورِ الَّذِي يُصِيبُ كُلَّ مَنْ سِئِلَ عَنْ ذَلِكَ الْقَصْرِ.

إِقْتَرَبْتُ مِنَ الْقَصْرِ فَلَاحَظْتُ أَنَّ دُخَانًا قَلِيلًا يَنْصَاعِدُ مِنَ الْمِدْخَنَةِ، فَبَعَثْتُ ذَلِكَ فِي قَلْبِي بَعْضَ الْأَمَلِ.

قَرَعْتُ الْبَابَ مَرَّاتٍ، وَصَيَّحْتُ وَنَادَيْتُ بِضَعِ دَقَائِقٍ. وَأَخِيرًا سَمِعْتُ فَوْفِي سَعْلَةً. قَفَزْتُ إِلَى الْوَرَاءِ مَذْعُورًا وَرَفَعْتُ رَأْسِي أَنْظُرُ إِلَى أَعْلَى، فَرَأَيْتُ بُنْدُوقَةً قَصِيرَةً عَتِيقَةً الطَّرَازِ مُوجَّهَةً إِلَيَّ.

كَانَتْ الْبُنْدُوقَةُ فِي يَدِ عَجُوزٍ ذَابِلٍ صَاحٍ بِي مُحَذِّرًا : «إِنَّهَا مَخْشُوءَةٌ !

هَتَفْتُ وَأَنَا أَرْتَعِشُ : «أَحْمِلْ رِسَالَةَ إِلَى السَّيِّدِ إِبْنِزَر فور.»

أَجَابَنِي الْعَجُوزُ : «ضَعِ الرِّسَالَةَ عَلَى عَتَبَةِ الْبَابِ وَامْضِ.»



أَغْضَبَنِي تَصَرُّفُ الْعَجُوزِ غَيْرِ اللَّاتِقِ فَصَحْتُ : «لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ . فَإِنَّ عَلَيَّ أَنْ أَسْلَمَهَا
إِلَى السَّيِّدِ فَوْرٍ شَخْصِيًّا .»

صَمَتَ الْعَجُوزُ هُنَيْهَةً ثُمَّ قَالَ : «وَمَنْ أَنْتَ؟»

أَجَبْتُ : «أَنَا رُوبِنْ فُورٍ .»

إِخْتَفَى رَأْسُ الْعَجُوزِ مِنَ النَّافِذَةِ ، ثُمَّ سَمِعْتُ أَقْصَالَ الْبَوَابِ تُفْتَحُ . وَأَخِيرًا أُذِنَ لِي
بِالدُّخُولِ .



رَأَيْتُ أَمَامِي عَجُوزًا فِي نَحْوِ السِّتِينَ مِنْ عُمْرِهِ ، نَحِيلًا مَحْنِيَّ الظُّهْرِ ، غَيْرَ حَلِيقٍ وَذَا
وَجْهِ كَالطِّينِ لَوْنًا . قَادَنِي الْعَجُوزُ إِلَى الْمَطْبَخِ وَقَدَّمَ لِي حَسَاءً بَارِدًا كَرِيهَ الطَّعْمِ .

فَجَاءَ مَدًّا بَدَأَ مُجَعَّدَةً وَقَالَ : « أَرِنِي الرُّسَالَهَ . »

وَبَدَأَ لِي الْعَجُوزُ خَادِمًا فِي ذَلِكَ الْقَصْرِ الْوَاسِعِ ، فَقُلْتُ : « الرُّسَالَهَ كَيْسَتْ لَكَ . إِنَّهَا
لِلسَّيِّدِ فُور . »

رَدَّ الْعَجُوزُ بِضِيقٍ قَائِلًا : « وَمَنْ تَظُنِّي أَكُونُ ؟ هَاتِ رِسَالَهَ الْكُسْنَدَرِ . »

شَهِقْتُ عِنْدَمَا سَمِعْتُ الْعَجُوزَ يَذْكُرُ اسْمَ أَبِي . وَرَأَى الْعَجُوزُ انْدِيهَاشِي ، فَكَشَفَ عَنْ
أَسْنَانِهِ وَقَالَ : « أَنَا عَمُّكَ يَا رُوبِنْ . أُعْطِنِي الرُّسَالَهَ ! »

فَهَذَا الْمَخْلُوقُ الْقَمِيءُ ، التَّعِيسُ إِذَا هُوَ عَمِّي . وَتَمَلَّكَنِي شُعُورٌ عَارِمٌ بِالْخَجَلِ .

أَمْسَكَتِ الرُّسَالَهَ ، وَقَلَّبَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَبَادَرَنِي فَجَاءَةً بِصَوْتٍ حَادٍّ قَائِلًا :
« أَحْسِبُكَ قَرَأْتَ الرُّسَالَهَ وَجِئْتَ تَطْلُبُ مِنِّي مَا لَا ؟ »

أَغْضَبَتْنِي تِلْكَ الْمُلَاحَظَةُ الظَّالِمَةُ ، فَأَشْرْتُ مُهْتَاجًا إِلَى الرُّسَالَهَ قَائِلًا : « أَلَا تَرَى أَنَّ
الْخَتَمَ لَا يَزَالُ عَلَى حَالِهِ ؟ صَحِيحٌ أَنِّي جِئْتُ آمِلًا فِي عَوْنِكَ ، لَكِنِّي لَسْتُ مُسَوَّلًا ، وَلَا
أُطْمَعُ فِي شَيْءٍ كَيْسَ مِنْ حَقِّي . »

حَاوَلَ عَمِّي تَهْدِئَتِي بِصَوْتٍ بَدَأَ صَادِقًا ، لَكِنَّهُ لَمْ يُفْلِحْ فِي كَسْبِ ثِقَتِي .

قَالَ : « هَدِّئِي مِنْ رَوْعِكَ . سَنَكُونُ صَدِيقَيْنِ . أَنْتَ هُنَا عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ . تَعَالِ
أَرِيكَ سَرِيرَكَ . »

أَطَعْتُ الْعَجُوزَ وَسِرْتُ مَعَهُ فِي الظَّلَامِ إِلَى غُرْفَةٍ بَارِدَةٍ رَطْبَةٍ . وَطَلَبْتُ شَمْعَةً ، فَرَفَضَ
طَلْبِي قَائِلًا إِنَّهُ يَخْشَى نُشُوبَ حَرِيقٍ .

وَهَكَذَا أَمْضَيْتُ تَحْتَ سَقْفِ عَمِّي لَيْلَةً بَائِسَةً ، نِمْتُ فِيهَا عَلَى الْأَرْضِ لِأَنَّ السَّرِيرَ
كَانَ رَطْبًا رَطْبِيَّةَ الْغُرْفَةِ نَفْسِهَا .

في صباح اليوم التالي تناولتُ فطوراً من المَهْلِيَّةِ الباردة . ثُمَّ جَلَسْتُ أُمَا وَعَمِّي لَتَحَدَّثَ في الأمرِ .

أَحَدَ عَمِّي يَسْأَلُنِي عَنْ أَسْرَتِي بِكَثِيرٍ مِنَ الْجَلَافَةِ وَالصَّفَاقَةِ فَسْتَبَدَّ بِي الْعَضْبُ وَهَضْتُ مُزْمِعاً عَلَى الرَّحِيلِ لَكِنَّهُ تَعَنَّقَ بِي وَنَاشَدَنِي أَنْ أَقِيمَ مَعَهُ أَيَّاماً ، عَلَى الرُّغْمِ مِنْ أَنَّ عَيْبَهُ كَانَتْ تَفْضَحَانِ مَقْتَهُ لِي وَحِقْدَهُ الشَّدِيدَ عَلَيَّ . وَقَدْ أَرَبَكَنِي تَصَرُّفُهُ ذَلِكَ ، لَكِنِّي وَافَقْتُ أَخيراً عَلَى طَبْعِهِ .

مَرَّ لَنَهَارٍ نَظِيئاً . اسْتَكْشَفْتُ فِي أَثْنَائِهِ الْقَصْرَ سَعِيداً بِتَخْصِي مِنْ صُحْبَةِ عَمِّي السَّقِيَّةِ الْجَافِيَةِ .

وَقَضَيْتُ سَاعَاتٍ فِي الْمَكْتَبَةِ أَقْلَبُ بِسَعَادَةٍ صَفَحَاتِ الْكُتُبِ الْكَثِيرَةِ هُنَاكَ وَرَأَيْتُ فِي بَاطِنِ غِلَافِ أَحَدِ الْكُتُبِ إِهْدَاءَ كُتُبِهِ أَبِي . هُوَ لَايَ : «إِلَى أَخِي إِنْزَرِ فِي عِيدِ مِيلَادِهِ الْخَامِسِ .»

حَبَّرْتَنِي تِلْكَ الْعِبَارَةُ . فَهِيَ تَقْصُ مَا كَانَ قَدْ رَسَخَ فِي ذَهْنِي مِنْ أَنَّ أَبِي هُوَ الْأَصْغَرُ بَيْنَ الْأَخَوَيْنِ . وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْأَصْغَرُ لَكَانَ هُوَ وَارِثَ قَصْرِ آلِ شُور . لَقَدْ كُتِبَ ذَلِكَ الْإِهْدَاءُ بِخَطِّ سَلِيمٍ لَا يَصْدُرُّ عَنْ طِفْلٍ دُونَ لِحَامِسَةٍ مِنْ عُمْرِهِ .

دَهَبْتُ إِلَى عَمِّي وَسَأَلْتُهُ إِنْ كَانَ أَبِي قَدْ تَمَيَّزَ فِي طُفُولَتِهِ بِمَهَارَةٍ فَائِقَةٍ .

أَجَابَ : «الْكَسْدَرُ؟ لَا . لَمْ يَكُنْ يُدَايِي فِطْنَةً وَمَهَارَةً .»

زَادَ ذَلِكَ فِي حَبْرَتِي . وَسَأَلْتُهُ إِنْ كَانَ هُوَ وَآبِي تَوَآمِيْنِ . فَفَرَّ عَمِّي مِنْ مَقْعَدِهِ وَأَمْسَكَنِي مِنْ مِغْطَانِي بِخُشُونَةٍ . وَرَأَيْتُ شَفَتَيْهِ تَرْتَعِشَانِ عَضْباً ، وَبَدَأَ يُجَاهِدُ مُحَاوِلاً كَتَمَ هِيَاجِهِ . وَظَلَّ بَعْضَ الْوَقْتِ يَتَفَضُّ عَضْباً . ثُمَّ هَذَا أَخيراً وَقَلْتَنِي .

خَطَرَ فِي بَالِي عِنْدَئِذٍ أَنَّ عَمِّي مَجْنُونٌ . جَسَاسٌ . وَاحِدُنَا قُبَاةَ الْآخِرِ ، مِنْ دُونِ أَنْ تَغِيْبَ عَنْ عَيْنِي صُورَةُ هِيَاجِهِ الْمُقَاجِي .

قُلْتُ فِي نَفْسِي : «إِنْ لَمْ يَكُنْ مَجْنُونًا ، فَإِنَّهُ يُحَاوِلُ ، إِذَا ، أَنْ يُخْفِي عَنِّي أَمْرًا .»

وَرُحْتُ أَقْلَبُ الْأَمْرَ عَلَى وَجْهِهِ فَرَسَخَ فِي ذَهْنِي أَنَّ أَبِي هُوَ الْأَكْبَرُ بَيْنَ الْأَخَوَيْنِ وَأَنَّ
عَمِّي سَلَبَنِي حَقِّي الشَّرْعِيَّ فِي الْمِيرَاثِ. وَكَانَ عَمِّي فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ يُرَاقِبُنِي كَمَا يَفْعَلُ جُرْدٌ
وَقَعَ فِي الْفَخِّ. وَكُنْتُ عَلَى ثِقَةٍ أَنَّهُ يَنْوِي بِي شَرًّا.

أَخِيرًا كَسَرَ عَمِّي الصَّمْتَ الْقَلِقَ بِالْكَيْمَاتِ الْآتِيَةِ: «بَا رُوْبِنَ، سَأُعْطِيكَ بَعْضَ الْمَالِ.
كُنْتُ وَعَدْتُ أَبَاكَ بِذَلِكَ. سَأُعْطِيكَ نَحْوَ أَرْبَعِينَ جُنِيَهًا. أَخْرُجْ دَقِيقَةً وَسَاتِيكَ بِالْمُسْلَعِ.»
أَذْهَلَنِي ذَلِكَ الْكَرَمُ الْمُقَاجِيءُ، وَبَدَأَ لِي أَنَّهُ تَنْفِيقَةٌ جَدِيدَةٌ مِنْ تَلْفِيقَاتِ عَمِّي الشَّرِيرَةِ.
عَلَى أَنَّ الْمُصُولَ دَفَعَنِي إِلَى أَنَّ أَتْرُكَ الْغُرْفَةَ حَبًّا بِمَعْرِفَةٍ مَا يَنْوِي فِعْلُهُ. وَكَانَ جَوْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ
مَشْحُونًا بِالضُّبَابِ يُنْذِرُ بِالْعَوَاصِفِ.



استدعاني عمي بعد دقائق ، وعدَّ يبطء في يدي ساعةً وثلاثين حينها . وكان ما تبقى
من المبلغ نقوداً معدية . وقف لحظة يفكر وهو ينظر إليها . ثم غلب عليه الجشع
فدسها في جيبه .

على أن حال فقد ذهبي ديث الانقلاب في مخزى الأمور . ورحت أشكره صادقاً
على حينه لكيه شار يده إشارة من لا يطمع في الشيء . وسألني خدمة صغيرة . ولم أقو
على الرقص على الرغمة التي رثت في ما طلب مني وشعرت أنه يدبر لي مراً
«أه عجبور . يا روس . وحتاح إن عوئي في هذا الحزير الواسع . أتساعدني في
ذلك ؟»

أحس : «صبع . يا سيدي .

قال «فبداً لأن ذا .» ثم سلمي مفتاحاً صدياً وهو يقول . «بيك مفتاح الريح
اجبسي لا يمكن نوصون إن ديث الريح إلا من الحارج . إذ إن ديث الجايب من
نقصر لم يكتمل ساؤه قط . نخذ في قيمة الريح صندوقاً حشني به . وإن فيه ورقاً
مهمة .»

رفص أن يعطيني ساعة . لكيه كدي أن ذرخ لرج في حانة صالحة . وعلى الرغمة
من تسرب شقي إن نفسي فقد شرعت في مهمتي .

كانت العاصفة قد أخذت تغرب . وسرعان ما بدأت أصوات رعد تترالى . رحت
أتمس طريق في ضلام إن أن وضعت إلى بوابة لرج

وبنما كنت أدير المفتاح في قفل البوابة أسمع ترق حاصف عطية نهر نصري . ورأيت
نفسى أدخل لرج متعثر . بدأت يصعد درجات لرج الحسبة . ووجدتها في أول
الأمر . ثابتة . ثم لاحظت في شيء صعودي أن ندرجات أخذت تئن وتتحرك تحت
قدمي محيرتي ذلك وقتني

ثم أسمع صوت ترق نارية حاملاً إلي الجوب على حيرتي وقتي . فقد رأيت نفسي فوق
درج يؤشك أن ينهار . وعلى بعد خطوات من حافة هوية عميقة !



Proposed
reg. authority

أَحْسَنْتُ بِالْدَّمِ يَجْمُدُ فِي عُرْوِي . فَقَدْ أُرْسَلَنِي عَمِّي عَمْدًا إِلَى حَنِّي . فَرَجَعْتُ بِطُءٍ
وَنَزَلْتُ دَرَجَاتِ الْبَرْحِ . وَأَنَا فِي أَشَدِّ حَالَاتِ الدُّعْرِ وَالْهَيْبِاجِ .

فِي اللَّحْطَةِ الَّتِي وَصَلْتُ فِيهَا الْأَرْضَ سَالِمًا شَرَعْتُ أَنْحْتُ عَنْ عَمِّي وَحَدَّثُهُ فِي
الْمَطْمَحِ يَجْرَعُ الشَّيْءَ بِعَصِيَّةٍ . كَانَ طَهْرُهُ لِي وَرَأَيْتُ كَيْفِيهِ يَهْتَزُّ اهْتِرَازًا عَظِيمًا .
وَأَذْرَكْتُ أَنَّهُ يَطْلُ أَنْ خُطَّتُهُ قَدْ نَحَحَتْ ، وَأَنَّهُ يَجْرَعُ الشَّيْءَ احْتِفَالًا بِمَوْتِي
الْمُفَاحِشِيِّ ، أَوْ . وَهُوَ الْغَالِبُ . سَعْيًا مِنْهُ إِلَى تَهْدِئَةِ أَعْصَابِهِ .

تَسَلَّلْتُ وَرَاءَهُ مُكْشِّرًا عَنْ أَسَانِي وَلَمَسْتُ كَيْفِيهِ . فَصَعَقْتُهُ الْمُفَاحَاةُ وَسَقَطَ عَلَى
الْأَرْضِ مُغْمًى عَيْنُهُ . وَبَدَأَ شُبَّةَ بَكْسٍ مِنْ عِظَامٍ مِنْهُ بِكَائِنٍ شَرِيٍّ . انْقَطَعَتْ مِنْ إِبْغَمَائِهِ ،
لَكِنَّهُ لَمْ يَكُرْ فِي حَالٍ تَسْمَحُ لَهُ بِالْكَلَامِ . أَشْفَقْتُ عَلَيْهِ إِشْفَاقًا لَا مَحَالَ لَهُ . فَتَوَقَّضْتُ عَنْ
تَخْوِيفِهِ . وَكَتَفَيْتُ تِلْكَ الثَّيْبَةَ بِحَجَرِهِ فِي عُرْفَتِهِ وَأَقْفَالِ الْبَابِ عَلَيْهِ .

فِي صَاحِ الْيَوْمِ الْتَلِّي دَخَلْتُ غُرْفَةَ عَمِّي مُبْتَسِمًا . وَقُلْتُ : «وَلَا أَسْ . يَا سَيِّدِي . هَلْ
لَكَ أَنْ تُفَسِّرَ لِي مَعْنَى فِعْلِكَ الْمَكْرَاءِ مَسَاءَ أَمْسٍ ؟»

رَدَّ عَنِّي بِصَوْتٍ وَهِنٍ قَائِلًا إِنَّهَا كَانَتْ مَرَّحَةً . فَضَحِكْتُ صَحْكَةً عَالِيَةً مِنْ ذَلِكَ
الْعُذْرِ الْوَاهِي . عِنْدَيْكَ قُلْ .

«لَيْكُنْ مَا تُرِيدُ سَأُشْرِحُ لَكَ الْأَمْرَ كَنَّهُ بَعْدَ وَجْهِهِ الصَّاحِ .»

وَكَانَ وَاضِحًا أَنَّهُ يُحَاوِلُ أَنْ يَكْتَسِبَ وَقْدًا يُعَدُّ فِيهِ كِدْنُهُ أُخْرَى . وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ
سَمِعْنَا صَوْتَ قَرْعٍ عَلَى الْبَابِ . فَتَحْتُ الْبَابَ فَوَجَدْتُ أَمَامِي قَتْنًا نَحِيلًا شَاحِبَ الْوَجْهِ .



كَانَ الْفَتَى يَعْمَلُ حَادِمًا فِي سَفِينَةٍ كَوَفَّيْتُ الشَّرَاعِيَّةَ . وَقَدْ جَاءَ يَحْمِلُ رِسَالَةً إِلَى عَمِّي مِنْ قُبْطَانِ السَّفِينَةِ السَّيِّدِ هُوزِنَ .

قَرَأَ عَمِّي الرِّسَالَةَ ثُمَّ قَالَ «إِنَّ لَدَيَّ عَمَلًا مَعَ الْقُبْطَانِ هُوزِنَ . إِنْ كُنْتَ تَرُغِبُ فِي مُرَافَقَتِي إِلَى السَّفِينَةِ . فَسَقُومُ . أَنَا وَأَنْتَ . نَعْدُ بِإِجَارِ عَمَلِي مَعَ الْقُبْطَانِ . بِرِيَارَةِ السَّيِّدِ رَنْكِيلَرِ . لَقَدْ كَانَ السَّيِّدُ رَنْكِيلَرُ صَدِيقًا مُخْلِصًا مِنْ أَصْدِقَاءِ أَبِيكَ ، وَسَيُعْطِيكَ إِجَابَاتٍ شَافِيَةً عَنْ أَسْئَلَتِكَ كُنْهَا .»

كُنْتُ ، بِطَبِيعَةِ الْحَالِ . مُتَلَهِّمًا لِمُحَاوَلَةِ السَّيِّدِ رَنْكِيلَرِ . كَمَا كُنْتُ رَغْبًا فِي الصُّعُودِ إِلَى مَتْنِ سَفِينَةٍ وَاسْتِكْشَافِ دَاخِلِهَا . فَوَافَقْتُ رَاضِيًا عَلَى مَا اقْتَرَحَ عَمِّي .

ظَلَّ عَمِّي صَامِتًا طَوَالَ الطَّرِيقِ . لَكِنَّ صُحْبَةَ الْفَتَى سَلَّنِي . كَانَ اسْمُهُ رَانْسُمُ . وَقَدْ أَعْطَانِي وَصْفًا نَافِضًا بِالْحَيَاةِ لِلصُّعُوبَاتِ الَّتِي يَعْيشُهَا الْإِنْسَانُ عَلَى مَتْنِ سَفِينَةِ الْكَوَفَّيْتِ . كَمَا وَصَفَ لِي طِبَاعَ الْبَحَّارَةِ لَشَرِّسَةٍ . وَبِحَاصَّةِ طِبَاعِ الضَّابِطِ الْأَوَّلِ . السَّيِّدِ شُونِ . الَّذِي كَانَ قَدْ ضَرَبَ الْفَتَى فِي ذَلِكَ الصَّبَاحِ نَفْسَهُ ضَرْبًا مُبْرَحًا . عَلَى أَنَّ الْفَتَى كَانَ . عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ . يُؤَيِّزُ حَيَاتَهُ الْقَاسِيَةَ تِلْكَ عَلَى عَيْشَةٍ مُظْمِنَةٍ هَادِئَةٍ فَوْقَ الْبَرِّ .

عِنْدَمَا وَصَدْنَا إِلَى بَنْدَةِ كُوَيْتْرُفَرْيِ الْقَرْيَةِ رَأَيْتُ الْكَوَفَّيْتِ رَاسِيَةً عَلَى نَعْدِ نَصْفِ مِيلٍ مِنَ الشَّاطِئِ . وَكَانَ رَنْسُمُ قَدْ أَحْرَنِي أَنَّ السَّفِينَةَ نَحْمِلُ رَقِيقًا إِلَى أَمِيرِكَ الشَّمَالِيَّةِ وَرَأَيْتُ أَلْوَانَ السَّفِينَةِ الْقَائِمَةِ وَشَكْلَهَا الْقَبِيحَ فَصَدَّقْتُ مَا رَوَاهُ لِي صَاحِبِي وَعَزَمْتُ عَلَى الْأَنْتَظَرِ قَدَمَائِي مَتْنِ تِلْكَ السَّفِينَةِ الْمُرْعَبَةِ .



قَائِدٌ مُنْطَازٍ هَوْدٍ فِي نَزْلِ وَاقِعٍ فِي وَسْطِ الْمَلْدَةِ كَانَ رَجُلًا طَوِيلًا دَاكِنَ الْبَشَرَةِ ،
 صَدْرُهُ الْهَيْئَةُ وَكَانَ يَخْبِسُ إِلَى جَانِبِ مِدْفَعٍ مُسْتَعْرِقَةٍ . وَقَدْ لَيْسَ سِتْرَةٌ بَحْرِ كَاسِيَةٍ وَطَاقِيَّةٌ
 تُعْطِي أَدْيِيَهُ . وَرَأَى لَذَّةً فِي غِيَابِ . وَوَضَحَ أَنَّهُ أَمَضَى فِي الْبِلَادِ الْخَارَةِ سِينَ كَثِيرَةً
 فَسَمُ يَعْدُ بِحَتْمَلِ الْجَوِّ الْمَارِدِ .

آثَرْتُ أَنْ أَتْرَكَ لِرُحْنِي إِلَى غَمِيهِمَا ، وَأَسْعَدَنِي أَنْ أَتَخَلَّصَ مِنْ حَرَارَةِ الْغُرْفَةِ
 الْحَرِيقَةِ وَمَشَيْتُ نَ وَرَسْمُ صَوْبِ الْمِيَاءِ . وَتَوَقَّفْنَا فِي مَقْهَى نَشْرَبُ عَصِيرَ الْفَاكِهَةِ .



وَرَعَيْتُ فِي أَنْ أَسْمَعَ رَأْيَ رَجُلٍ مُحَايِدٍ فِي عَمِّي . فَتَحَدَّثْتُ مَعَ صَاحِبِ الْمَقْهَى .
وَبَدَأْتُ بِأَنْ سَأَلْتُهُ إِنْ كَانَ يَعْرِفُ السَّيِّدَ رَنْكِيلَرَ .

أَجَبَ . « نَعَمْ عَرَفْتُهُ . إِنَّهُ رَجُلٌ صَادِقٌ حَقًّا » .

ثُمَّ سَأَلْتُهُ عَنْ رَأْيِهِ فِي عَمِّي

أَحَابَ : « إِنَّهُ عَجُوزٌ شَرِيرٌ مَكْرُوهٌ . كَانَ فِيمَا مَضَى رَجُلًا صَالِحًا إِلَى أَنْ شَوَّهَتْ
الْإِشَاعَاتُ سُمْعَتَهُ . »

أَلْهَبَ ذَلِكَ فُضُولِي . فَسَأَلْتُ : « أَيُّ إِشَاعَاتٍ ؟ »

أَجَابَ صَاحِبُ الْمَقْهَى . وَهُوَ يَتْرُكُنِي إِلَى زَيْبُودٍ آخَرَ . « يُقَالُ إِنَّهُ قَتَلَ أَحَدًا الْأَكْبَرَ
لِيَسْتَوْلِيَ عَلَى قَصْرِ آلِ شُوز . »

قُلْتُ فِي نَفْسِي . « إِذَا كُنْتُ عَلَى حَقٍّ . فَأَنَا لَوَرِثٌ لَشَّرْعِيٍّ لِقَصْرِ آلِ شُوز . وَعَمِّي
يُحَاوِلُ سَلْبَ هَذَا الْمِيرَاثِ مِنِّي . »

عُدْتُ إِلَى التَّرْلِ وَقَدْ عَقَدْتُ الْعَزَمَ عَلَى أَنْ أَكْتُمَ شُكُوكِي إِلَى أَنْ أَرَى السَّيِّدَ رَنْكِيلَرَ .
وَقَدْ اسْتَقْبَلَنِي الْقُبْطَانُ هُوزِنٌ فِي التَّرْلِ سَتِيقًا وَدَيًّا ، وَوَضَعَ ذِرَاعَهُ فِي ذِرَاعِي وَكَأَنَّهُ يُرِيدُ
أَنْ يُسِيرَ لِي بِشَيْءٍ ، وَقَالَ :

« أَنْتَ شَابٌ لَطِيفٌ . تَعَالَ مَعِيَ فَأَرِيكَ السَّعِيَّةَ وَنَشْرَبَ الشَّايَ وَتَتَحَدَّثُ . »

أَجَبْتُ : « شُكْرًا ، لَكِنِّي دَاهِبٌ مَعَ عَمِّي لِرُؤْيَةِ السَّيِّدِ رَنْكِيلَرَ . »

قَالَ « أَحْبَبَنِي عَمُّكَ بِأَمْرِ هَذِهِ الرِّبَايَةِ . لَكِنَّ السَّعِيَّةَ سَتُعِيدُكَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَتُنْزِلُكَ
إِلَى الْبَرِّ قَرِيبًا جِدًّا مِنْ مَنْزِلِ السَّيِّدِ رَنْكِيلَرَ . »

ثُمَّ مَالَ عَلَيَّ فَجَاءَةً وَهَمَسَ فِي أُذُنِي قَائِلًا : « احْذَرْ عَمُّكَ - إِنَّهُ رَجُلٌ خَطِرٌ . تَعَالَ
مَعِيَ إِلَى مَنْزِلِ السَّعِيَّةِ فَأُطِيعَكَ عَلَى حُطَّةٍ سَرِيَّةٍ يُعِدُّهَا لِقَتْلِكَ ! »

حَسِبْتُ أَنِّي وَجَدْتُ صَدِيقًا أَمِينًا ، فَوَاقَعْتُ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى سَعِيَّةِ الْكُوفَةِ .
وَرَكِبَ عَمِّي بِبِيزَرٍ وَرَأْسُكُمْ إِلَى جَانِبِي فِي الْقَارِبِ الَّذِي سَيَحْمِلُنِي إِلَى السَّعِيَّةِ .

عِندَهُ وَصَدَّ السَّفِيَّةَ رَفَعْتُ فِي مَثَلِ سُرْعَةٍ . فَسَيَّتُ فِي تِلْكَ الْحَرَكَةِ الْمُقَاحِثَةَ دُورًا
خَفِيفًا . وَتَرْتَحْتُ قَبِيلًا . ثُمَّ لَتَمْتُ حَوِيَّ فَمَهْ أَرَّ عَمِي . فَفُتُّ .

« يَنْ عَمِي سَيَّرَ ؟ »

فَحَدَّثَنِي صَوْتُ قُبْطَارٍ هَوِّنَ مِنْ حَلْفٍ يَقُولُ « صَحِيحٌ » . « يَنْ هُوَ ؟ » وَلَتَمْتُ
وَجْهَهُ

كَانَ وَجْهَهُ يَقْطُرُ شَرًّا . وَلَوْ مَا وَكَانَ صَوْتُهُ حَافًا قَاسِيًا .

يَدَفَعْتُ فِي حَايِبِ السَّفِيَّةِ فِي دُغْرِ . فَرَأَيْتُ عَمِي يَعُودُ فِي لَشَايِي فِي الْقَارِبِ

خَسَنَتْ بِأَصْبَعٍ . وَصَحْتُ : « النَّجْدَةُ ! النَّجْدَةُ ! سَيَقْتُلُونَنِي ! »

لَتَمْتُ عَمِي نَحْوِي . فَرَأَيْتُ عَلَى وَجْهِهِ الشَّرِيرِ تُسَامَةً تُضْرِبُ الَّتِي انْطَبَعَتْ فِي مُحِبَّتِي

إِلَى الْأَبَدِ . ثُمَّ شَعَرْتُ بِضَرْبَةٍ عَمِيقَةٍ عَلَى مُوَحَّرَةٍ رَأْسِي . رَافَقَهَا وَمِبْضٌ أَيْبَسُ غَضِيهِ . ثُمَّ

- سَوَادٌ غَيْثٌ مَعَهُ عَنِ الْوَعْمَى .

عِندَهُ فُتُّ مِنْ بَغْدَادِي كُنْتُ شَعْرُ بَعْثَانٍ ، وَكُنْتُ مُقْبِدًا فِي مَكَانٍ بَارِدٍ وَمُظْلِمٍ . لَا

أَذْكُرُ كَمْ مِنَ الْأَيَّامِ بَقِيتُ مُحْتَجِرًا فِي السَّفِيَّةِ . وَحِيدًا وَخَائِفًا لَقَدْ أَتَهَكَتُ لِحْمِي

جَسَدِي وَأَصْنَتِ لِكَوَابِسِ الْمُرْعِيَةِ فِكْرِي وَعَدَّتْنِي .

ثُمَّ نَفِثْتُ ، بَدَأَ عَلَى أَوَامِرِ طَيْبِ السَّفِيَّةِ . السَّيِّدِ رَيْثَش . إِلَى الْعَمْرِ الْأَمَامِيِّ .

وَبَدَأْتُ هُنَاكَ أَسْتَعِيدُ عَافِيَتِي يَظْطَاءُ . وَتَعَرَّفْتُ إِلَى الْبَحَارَةِ وَحَيَاةِ الْبَحْرِ . وَبَدَأْتُ .

كَذَلِكَ ، أَفَكَّرْتُ فِي مَا يَتَخَيَّرُنِي مِنْ مَصِيرٍ . فَقَدْ عَيَّنْتُ أَنِّي سَأَبْعُ فِي أَمِيرِكَ بَيْعِ الرَّقِيقِ .



دات لَيْفَ سَرَتْ نِسْ لَبْحَارَةِ إِشْدَعَةٍ تَرَدَّدَتْ فِي كَلِمَاتٍ . هِيَ : «شُونَ قَصَى عَلَيْهِ
أَخِيرًا !»

وَسُرْعَانَ مَا تَنَسَّى أَنَّ شُونَ هَاحِمَةٍ فِي إِحْدَى نَوْبَاتِ عَصَبِهِ الْفَتَى رَأْسُكُمْ وَأَنْهَالَ عَلَيْهِ
رَفْسًا وَكُفًّا . ثُمَّ جَاءَنِي الْقُبْطَانُ يُحَدِّثُنِي بِنَهْجَةٍ مَارِحَةٍ مُفَاجِئَةٍ . وَقَالَ :

«أُرِيدُكَ أَنْ تَخْدِمَ فِي السَّفِينَةِ مَحَلًّا رَأْسُكُمْ .»

حَرَجْتُ مِنَ الْعُسْرِ الَّذِي أَنَا فِيهِ فَرَأَيْتُ رَجُلَيْنِ يَحْمِلَانِ جَسَدَ رَأْسُكُمْ . تَفَرَّسْتُ فِي
الرَّأْسِ لِمُنْدَلَايَ فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ صُغْرَةَ الْمَوْتِ .

رَأَيْتُ شُونَ . الَّذِي كَانَ قَرِيبًا مِنِّي . أَتَمَرَّسُ بِحُرْقَةٍ فِي صَدِيقِي الْمَيِّتِ ، وَتَهْرَكِي قَائِلًا :
«أَعْرَبُ عَنْ وَحْشِي !» فَحَرَيْتُ مَذْعُورًا .





شَعْنِي مُهْمَاتِي الْجَدِيدَةُ فِي الْأَيَّامِ الَّتِي نَتُّ نِلْتُ حَدِيثَهُ. وَعَنِ الرَّغْمِ مِنْ نَهَا
كَاتَ مُهْمَاتِ شَقَّةٍ وَمُذِلَّةٍ فَقَدْ أَحْسَنْتَ لِي مِنْ حَيْثُ نَهَا صَرَفْتَنِي عَنِ التَّفَكِيرِ فِي مُسْتَقْبَلِي
الْقَاتِمِ .

وَلَمَّا كَانَتِ الرِّيحُ مُعَاكِةً لَنَا فَقَدْ تَقَدَّمَتِ السَّفِينَةُ تَقْدُمًا نَظِيمًا . وَفِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنْ
بَدَأِ رِحْلَتِنَا كَانَ الْجَوُّ بَارِدًا صَدِيدًا . وَكَانَتْ لِرُؤْيَا سَيِّئَةٍ . وَبَيْنَمَا نَا مُنْهَكٌ فِي أَشْعَالِي
سَمِعْتُ مَنْ يَصْرُخُ قَائِلًا : « أَصِيبَتِ السَّفِينَةُ » .

انْدَفَعَ الْبَحَّارَةُ خَمِيْعًا إِلَى حَارِبِ السَّفِينَةِ يَسْتَظِلُّوْنَ الْأَمْرَ . وَقَدْ دَخَلَ فِي رَوْعِهِمْ أَنَّ
سَفِينَتَهُمْ قَدْ اضْطَلَمَتْ بِالْصُّخُورِ . لَكِنْ تَبَيَّنَ أَنَّهَا اضْطَلَمَتْ بِمَرَكَبِ صَيْدٍ صَغِيرٍ
فَحَطَّمَتْهُ تَحْطِيمًا

وَقَدْ انْتَلَعَتِ الْأَمْوَاجُ رِجَالَ مَرَكَبِ الصَّيْدِ كُلَّهُمْ . مَا عَدَا وَحِدًا مِنْهُمْ رَمَى نَفْسَهُ عَلَى
حَبْلِ مِنَ الْحَبَالِ الَّتِي قَذَفْنَا بِهَا إِلَى الْبَحْرِ ، فَنَجَا بِحَيَاتِهِ .

أَنْزَلَ الْقُبْطَانُ الرَّحْلَ الْمَاحِي فِي الْعَنْبَرِ الْخَلْفِيِّ وَأَمَرَ لَهُ بِكُوبٍ مِنَ الشَّايِ السَّاحِنِ
يُعِيشُهُ . وَبَدَأَ الرَّجُلُ ضَمِيرَ الْجِسْمِ رَشِيْقًا . دَ شَخْصِيَّةٍ آسِرَةٍ ، أَيْقًا فِي مَلْسِيهِ وَتَصْرُفَاتِهِ .
وَكَادَ يَتَقَلَّدُ سَيْفًا وَيَتَمَنَّى بِمُسَدَّسَيْنِ وَشَيْقَيْنِ لَا مَعِينِ .

عَرَفْتُ مِمَّا سَمِعْتُ مِنْ حَدِيثِهِ مَعَ الْقُبْطَانِ أَنَّهُ مِنْ نَصَارِ آلِ سَيُورُوتَ . وَهِيَ الْأُسْرَةُ
لَا سَكُنْدِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ تَسْعَى لِاسْتِعَادَةِ الْعَرْشِ ثَرِيظِيٍّ وَتَبَرَّعِهِ مِنَ الْمَلِكِ حُورِجِ
الْأَوَّلِ مَلِكِ بَنَكِلَرِ وَاسْكُنْدَ . وَتَدَا وَصَحَا أَنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ كَانَ هَارِبًا إِلَى فَرَسَا عِنْدَمَا
غَرِقَ مَرَكَبُهُ .

عَرَّضَ الرَّجُلُ عَلَى الْقُبْطَانِ هَوِيزَ مَبْنَعًا كَبِيرًا مِنْ دَارِ لِقَاءِ نَقْلِهِ إِلَى فَرَسَا . لَكِنَّ
الْقُبْطَانِ رَفَضَ عَرْضَهُ . ثُمَّ تَوَصَّلَ الرَّجُلَانِ أَحِيرًا إِلَى اتِّفَاقٍ يَقْضِي بِأَنْ يُنْقَلَ الْعَرِيبُ إِلَى
مَكَانٍ مِنْ سَاحِلِ اسْكُنْدَ . ذَكَرَ أَنَّ لَهُ فِيهِ أَصْدِقَاءَ . عَلَى أَنَّ يَدَا الْقُبْطَانِ لِقَاءَ ذَلِكَ سِتِينَ
حِينَئِذٍ .

تَزَلَّ الْعَرِيبُ فِي نَفْسِهِ . بِرَشَاقَةِ مَظْهَرِهِ وَحُسْنِ تَصَرُّفِهِ . تَرَّأَ طَيِّبًا . فَقُلْتُ وَهَذَا قَدُمُ لَهُ
طَعَامَ عِشَاءٍ . أَنْتَ إِذَا مِنْ نَصَارِ آلِ سَيُورُوتَ ؟ وَكُنْتُ بِذَلِكَ تُسْعَى إِلَى مُدَاوَلَتِهِ
لِحَدِيثِ .

أَحَبُّ . وَهُوَ يَشْرَعُ فِي تَنَاوُلِ الطَّعَامِ . وَتُت . كَمَا يُوحِي لِي وَجْهُكَ الْبَائِسُ .
وَاحِدٌ مِنَ الرُّعَاعِ نَسَعَ الْمَلِكِ حُورِجِ .

وَكَنْتُ فِعْلًا مِنْ نَصَارِ لَمَلِكِ حُورِجِ لَكِنِّي لَمْ أُرِدْ تَحَدُّثَهُ . فَجِئْتُ إِحَابَةً غَامِضَةً
قَدِيمًا :

«بَيْنَ بَيْنَ .»

فَأَصَافُ الْعَرِيبُ بِلَهَجَةٍ مَرَحَةٍ . «يَعْنِي لَا شَيْءَ . يَا سَيِّدُ بَيْنَ بَيْنَ أَمَلًا لِي كَوْنِ
الْقَصِيرِ .»

قُلْتُ : «سَاقِي بِرُجَاحَةٍ جَدِيدَةٍ يَا سَيِّدِي .» ثُمَّ دَهَشْتُ إِلَى عُرْفَةِ الْقُبْطَانِ لِاتِّبَاعِهِ مِنْهُ
بِمِفْتَاحِ عَنَبَرِ الْمَوَدِّ .

وَبَيْنَمَا هُمْ يَدُحُّونَ الْعُرْفَةَ تَدَهَّشْتُ إِلَى مَسْمَعِي أَصْوَاتُ خَافَتَةٍ تَنَارَتْ شُكُوكِي .

إِقْتَرَبْتُ مَا أُمَكِّي زَاحِدًا فَرَأَيْتُ نَسِيدَ رَايَشِ وَالْقُبْطَانِ هَوِيزَ يَتَمَرَّنِ . لِقَتْلِ الْعَرِيبِ
وَسَلْبِهِ أَمْوَالَهُ .

سَدَّ بِي لِعَضْبُ الدُّعْرُ فِي آيٍ وَاحِدٍ . لَكِنْ كَانَ عَلَيَّ أَنْ أُحْفِظَ عَلَى هُدُونِي .
وَدَحَّتْ الْعُرْقَةُ وَسَأَلْتُ عَنْ لِفْتَاحٍ . وَكَأَنِّي لَمْ تَسْمَعْ شَيْئًا

هَتَفَ رَيْثُش : « هَلِهِ فُرُصَتَا ! رَوِيں فِدِرُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَا بِالسَّلَاحِ . »

وَأَقْرَبَ الْقُطْبَانُ عَلَى دِيكَ . وَقَالَ وَهُوَ يَنْتَفِتُ إِلَيَّ « نَعَمْ . هَذَاكَ لِرَجُلٍ الْمُسَهَّرُ
بَطَائِشُ حَطَرُ عَلَى السَّقِيَّةِ . يَا رَوِيں . تُرِيدُكَ أَنْ تَأْتِيَا بِسَيْحَتِيَا وَبِالْبَارُودِ مِنْ حِرَازَةِ
السَّلَاحِ فِي الْعَبْرِ الْحَقِيقِيِّ . فَانْتَ أَقْبَلُ الْحَذَرَةَ بِثَرَّةٍ يُشْكُوكُ . وَيَسْهَلُ عَلَيْكَ لِذَلِكَ أَنْ تَأْتِيَا
بِسِلَاحِيَا . إِذْ فَعَلْتَ ذَلِكَ عُظِيمُكَ بَعْضَ مَا نَزَرُ وَأَعِدُّكَ أَنْ أَسْعَى حَتَّى يَمْسُ عَدَّتُكَ عِندَمَا
نَصِلُ إِلَى أَمِيرِكَ . »

تَصَهَّرْتُ بِالْقَبُولِ . لَكِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ أَنِّي لَنْ أَكُونَ كَدًّا شَرِيكًا فِي حَرْبَةٍ قَتْلٍ .
بِذَلِكَ . وَبَنِي . عِندَمَا عُدْتُ إِلَى الْعَبْرِ الْحَقِيقِيِّ . أَضَعْتُ لِعَرَبٍ فِي مَحَلٍّ عَلَى لِحَطَرِ
الَّذِي يُحِقُّ بِهِ وَتَعَهَّدْتُ بِمُسَانَدَتِهِ

تَصَافَحْنَا وَتَعَارَفْنَا . أَحْبَبْتُ أَنْ أَسْمَهُ حَقِيقِيَّ لَنْ سُبُورَاتٍ . لَكِنْ أَصْدِيقَةٌ بِدَعْوَةٍ
أَنْ بَرِكَ . وَلَمْ يَكُنْ أَمَامَ مُتَمَعٍ لِحَدِيثٍ طَوِيلٍ فَرُغَانَ مَا سَيَكْتَشِفُ لِقُبْطَانٍ عِصْبِي لَهُ
وَيَنْدُ بِالْهَجُومِ .

تَهَمَكْتُ سَرِيعًا فِي تَفْحُصِ سَيْحَتِي وَمَوَاقِفِي لِدَوْعِيَّةٍ كَانَتْ بَيْنَ أَيْدِي عَدَدٍ مِنْ
الْمُسَدَّسَاتِ طِيبَ إِلَيَّ أَنْ أَحْشَوْهَا . وَمُنْشَقَ لَنْ سَيْفِهِ رَغِيًا عَنْ اسْتِعْمَالِ غَيْرِهِ مِنْ
الْأَسْلِحَةِ . ثُمَّ تَنَقَّتْ إِلَيَّ وَسَأَلَنِي .

« مَا عَدَدُ خُصُومِيَا ؟ »

قُلْتُ بَعْدَ لَحْظَةٍ تَفْكِيرٍ : « خَمْسَةٌ عَشَرَ . »

صَفَرَ صَفْرَةً خَمِيزَةً . وَقَالَ . يَكُونُونَ وَيَرِيدُونَ ! مَادِّعٍ عَنْ لَدَبِ الْمَقْتُوحِ .
يَسْمَا تَدَاوِعُ أَنْتَ عَنِ الْكُؤَةِ وَذَلِكَ لِيَبِ خَدِيبِي لِمُقْتَلٍ لَا تُطِيقُ لَدَارِي هَذَا الْإِتِّحَادِ
لِئَلَّا تُصِيبَنِي . »

أَسْرَعْتُ إِلَى مَوْعِي . كَانَ قَتِي يَخْفِقُ خَفَقَةً شَدِيدَةً . وَكُنْتُ أُرْتَجِفُ تَهَيُّبًا .
كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ قِتَّةً . لَكِنِّي كُنْتُ مُقْتَبِعًا أَنَّ الْمَوْتَ دِفَاعًا عَنِ النَّفْسِ حَيْرٌ مِنَ
الْمَوْتِ عَبْدًا .

وَصَلَ الْقُتْطَانُ فَشَهَرَ أَلْنَ سَيْمَهُ فِي وَجْهِهِ . فَلَمْ يَحْفَ الْقُتْطَانُ وَوَقَفَ وَقَمَّةً ثَبَاتٍ وَقَالَ
بِلَهَجَةِ الْمُسْتَاءِ :

«أَهَذَا جِرَاءُ تَرْحِييِ بِكَ؟»

سَارَعَ أَلْنُ يَقُولُ : «أَهْجُمُ بِرِجَالِكَ . يَا سَيِّدِي ! لَقَدْ صَرَخَ هَذَا السَّيْفُ الْكَثِيرِينَ مِنْ
رَعَاعِ الْمَلِكِ . وَلَنْ يُحْجِمَ الْآنَ .»

لَمْ يَقُلِ الْقُتْطَانُ لِلْعَرِيبِ شَيْئًا آخَرَ . لَكِنَّهُ رَمَقَنِي بِظُرَّةِ غَاصِيَةِ كَرِيهَةٍ . وَقَالَ بِصَوْتِ
خَفِيفٍ مَشْحُونٍ بِالْوَعِيدِ :

«لَنْ أُنْسِيَ فِعْلَتَكَ أَبَدًا . يَا رُوَيْنَ .» ثُمَّ اسْتَدَارَ وَمَضَى . أَمَّا أَنَا فَقَدْ جَمَدَ الدَّمُ فِي
عُرْوِي .





وسرعان ما وصل إليه صليل السيوف التي كانت تُورَع على البحارة، ثم فحاة النقص
غنيا الرجال.

وكان أول لقتلى سيد شون ندي قد انهزم، فقد تنحى صديقي لجديد حرب في
حركة سريعة بارعة وقرّر سيقه في حشد خصمه.

ورأيت في مقتل شون تتقدم بحريمة قتل صديقي رأسه
ثم حاول خمسة رجال تحطيم الباب المقفل. وعندما تمكنوا من إحداث فتحة فيه
أصقت النار عشوائياً عبر الفتحة فمات صرخة ألم مدوية. ألم أكل قد أصقت نار من
قل. ولا حملت مسدساً. لكبي كنت مدعور ودفع عن حياتي.

سَادَ صَمْتُ فَجَاءَ . فَقَدِ رُتِدَ الْأَعْدَاءُ لِيَلْمِمُوا جِرَاحَهُمْ . وَوَقَفْنَا وَحَدْنَا فِي جَوِّ الْعُرْفَةِ
الْعَائِقِ بِالدُّخَانِ وَرَائِحَةِ الْمَارُودِ الْمَلَذِيعَةِ . وَقَدْ تَلَصَّحَ الْمَكَانُ حَوْلَنَا بِالدَّمِ عَلَى أَيِّ حَالٍ ،
كَتَعْلَمُ أَنَّ نَيْصَارَنَا غَيْرُ نِهَائِيٍّ . فَرُحْنَا نَسْتَطِرُّ هُجُومًا جَدِيدًا .

وَسُرْعَدَ مَا نَدَى الْهُجُومُ الْمُسْتَطَرُّ . وَرَاحَ الْبَحَارَةُ يُهَاجِمُونَا مِنْ جِهَتِي الْكُوَّةِ وَالسَّيْلِ
لَأَمَامِي فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ . كُنْتُ مُسْتَعِدًّا لِهَذَا الْهُجُومِ . وَصَرَغْتُ رَجُلِينَ كَمَا يَتَدَيَّنُ مِنَ
الْكُوَّةِ إِلَى دَاخِلِ الْعُرْفَةِ . وَكَانَ أَلْسُ فِي هَذِهِ الْأَنَاءِ يَتَصَدَّى لِخُصُومِهِ بِسَهَرَةٍ فَائِقَةٍ .
مُوحِّهَا ضَرَبَاتِ سَيْفِهِ الْبَتَّارِ فِي كُلِّ اتِّحَاكِ أَحْيَرًا اسْتَدَارَ الْبَحَارَةُ عَلَى أَعْقَابِهِمْ . وَقَدْ نَالَهُمْ
مَا نَالَهُمْ . وَوَلَّوْا هَارِبِينَ .

مَلَأَ الْإِنْتِصَارُ أَلْسَ نَشْوَةً وَمَرَحًا . وَنَظَمَ فِي نَشْوَةِ رَهْوِهِ أُغْنِيَةً سَعَى السَّكَّانِ الْمَحَلِّيِّينَ فِي
الْمُرْتَمَعَاتِ الْأَسْكُنِيَّةِ بِصِفِّ فِيهَا ذَلِكَ الْإِنْتِصَارِ . وَعَمِلْتُ فِيمَا تَعُدُّ . عِنْدَمَا تَرَجَّمَ لِي
كَيْمَاتُ ثَلَاثِ الْأُغْنِيَةِ . أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى دِكْرِي فِيهَا !

مَا أَنَا فَقَدْ تَذَكَّرْتُ . عِنْدَمَا هَذَا ضَجِيجُ الْمَعْرَكَةِ . أَيَّ قَتَلْتُ ثَلَاثَةَ رِجَالٍ .
فَشَعَرْتُ بِالْعَبَاقِ . وَرُحْتُ فَجَاءَ أُرْتَجِفُ وَأُنْكِي كَمَا يَنْكِي الْأُطْفَالُ .

سَيِّ أَلْسَ مِهْرَحَانَهُ وَحَاطَ كَيْفِي بِذِرَاعِهِ . وَقَالَ لِي إِنِّي فَنَى شِعَاعٌ وَرَفِيقٌ مُعْتَمِدٌ
وَنَعْدُ أَنْ طَيْبَ خَاطِرِي قَبْلًا رَأَى أَنَّ أَمَامَ قَلِيلًا لِأَرْبَعِ جَسَدِي وَفِكْرِي . يَتَنَمَّا يَقُومُ هُوَ
بِنُورَةِ الْحِرَاسَةِ الْأُولَى

نَدَّتْ ثَلَاثُ اللَّيْلَةِ صَامِتَةً صَمْتُ تَقُورٍ . وَكُنْتُ أَنَا وَأَلْسَ تَتَاوَبُ الْحِرَاسَةَ كُلَّ ثَلَاثِ
سَاعَاتٍ . وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الثَّانِي جَسَنَّا . نَحْنُ الْإِثْنَيْنِ ، تَتَاوَلُ طَعَامَ الْمُطْوَرِ وَقَدْ عَبَا
لِإِنْشِرَاحِ فَبَدَّ سَيِّطَرْنَا عَلَى الْعَشْرِ الْخَلْفِيِّ نَعْنِي أَنَا نُسَيِّطِرُ عَلَى أَحْسَنِ الْمَآكِلِ وَأَفْضَلِ
سِلَاحٍ فَوْقَ مَنَى لِسَفِيَةٍ

وَفِي أَنْدَاءٍ وَحَبَةٍ لَصَّبَاحِ ثَلَاثَ كَدَّ كُنْ صَدَقْتُ بِأَنَّ قَدَّمَ لِي زِرًّا مِنْ أَزْوَارِ مِعْطَمِهِ
الْفِصِّيَّةِ . وَقَالَ : « احْتَفِظْ بِهِ تَذْكَارُ لِأَحْدَاثِ اللَّيْلِ لِسَبْقَةٍ . إِذَا أَرَيْتَ هَذَا الزَّرَّ فِي أَيِّ
مَكَانٍ فَسَيَمُدُّ لَكَ صَدِيقًا كُنْ بِرُكْ يَدَ الْعَوْدِ . »

كَانَ فِي رَهْوَةِ عُرُودِهِ تَشْتَبَاهُ بِأَيْدِي الْجِدِّ وَالْوَقْرِ . وَقَدْ بَدَلْتُ جَهْدًا شَاقًّا كَيْ لَا أَتَفَحَّرَ
صَاحِبَكَا . وَتَدَثَّرْتُ أَمْرًا شُكْرُهُ يَوْقَرُ مُمَثِّلًا

أَحِيرٌ حَاءَ التَّبْطُّانِ يَغْرِضُ التَّدْوِصَ . كَانَ وَجْهُهُ شَاحِبًا مُتَعَمِّدًا . وَكَانَ يَرْفَعُ إِحْدَى
ذِرَاعَيْهِ بِخِمَالَةٍ مُعْتَقَةٍ بِعُنْفٍ . وَوَاقَقَ بَعْدَ حَدِيثٍ قَصِيرٍ أَنَّهُ يُتَرَلِّمَانَا . أَنَّهُ وَاللَّهِ . بِنِ الشَّاطِطِيِّ
دُونَ مُضَايَقَاتِ أُخْرَى .

وَيَسْمَا كَمَا . أَنَّهُ وَاللَّهِ . تَنْتَظِرُ وَصُولَ لِسْقَبَةِ بِنِ الشَّاطِطِيِّ . رُحْنَا تَتَحَدَّثُ عَنْ أَنْفُسِنَا
إِسْتَمَعَ إِلَى حِكَايَتِي بَتَعَاظُفٍ بِنِ أَنَّهُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ صَدِيقِي السَّيِّدِ كَامِلٍ . عِنْدَ ذَلِكَ رَأَيْتُهُ
يَتَقَبَّضُ بِعُنْفٍ . ثُمَّ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ تَبَيَّنَ لِي سِيَوَارْتُ وَتَبَيَّنَ كَامِلُ عِدَاوَةِ مَرِيرَةٍ وَزَعَايَةِ دَمَوِيَّةٍ
مُتَوَاصِلَةٍ .

وَكَانَتْ حِكَايَةُ أَنَّهُ شَدَّ بِدَارَةٍ حَتَّى مِنْ حِكَايَتِي نَفْسِهَا . فَقَدْ نَدَّ حَبَاتُهُ ضَاحِكًا فِي
الْجَيْشِ لِإِنْكِزِي . ثُمَّ فَرَّ مِنْهُ لِيَتَحَقَّقَ بِالْأَسْكُتُنْدِيِّينَ لِمُطَالِبِينَ بِإِسْتِعَادَةِ عَرْشِ آدَمِ
سِيَوَارْتُ . وَكَانَ أَنْ تَمَكَّنَ الْجَيْشُ لِإِنْكِزِي لِنُطَامِي الْمُدْرَبُ ، لَتَبَعَ لِلْمَلِكِ حُورِجِ
الْأَوَّلِ . فِي مَعْرَكَةِ كَالُودِ الشَّهِيرَةِ . مِنْ سَحَرِ الْجَيْشِ الْأَسْكُتُنْدِيِّ غَيْرِ لِمَتَمَاسِكِ .
وَسَأَلْتُ نَحْنُ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى الْبَقَاءِ فِي اسْكُتُنْدَا بَعْدَ تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ . وَقَدْ بَاتَ
خَارِجًا عَلَى الْقَاوِدِ .

قَالَ مُوَضَّحًا . « قَوْمُ بَرِخَلَاتٍ مُنْتَظِمَةٍ بَيْنَ اسْكُتُنْدَا وَفَرَنْسَا فِي خِدْمَةِ قَائِدِي أَرْدُشِيلِ .
لَا الْمُرَارِعُونَ يَدْفَعُونَ ضَرْبَةَ لِمَتَمَاسِكِ حُورِجِ . وَيَدْفَعُونَ لِآلِ سِيَوَارْتِ . بِخِلَاصًا مِنْهُمْ لَهُمْ .
ضَرْبِيَّةٌ مُدَائِنَةٌ وَمُهْمَنِي أَنْ أَجْمَعَ هَذِهِ لِنُصْرِيَّةٍ وَخَمَلَهَا إِلَى فَرَنْسَا حَيْثُ يُقِيمُ أَرْدُشِيلِ .
سَأَلْتُ : « وَهَلْ يَدْفَعُ الْمُرَارِعُونَ هَذِهِ النُّصْرِيَّةَ الثَّانِيَةَ عَنْ طَبِيعَةِ خَاطِرٍ ؟ »

جَابَ « نَعَمْ . يَدْفَعُونَهَا عَنْ طَبِيعَةِ خَاطِرٍ وَيُضَمُّ هَذِهِ الْعَمِيَّةُ جِيَمَسُ شَقِيقُ
أَرْدُشِيلِ . »

أَخْبَرْتُهُ عِنْدَئِذٍ أَنِّي . عَلَى الرُّغْمِ مِنْ أَنِّي مِنْ أَنْصَارِ الْمَلِكِ جُورِجِ ، مُقَدَّرٌ لِهَوْلَاءِ
الْقَوْمِ بِإِخْلَاصِهِمُ النَّبِيلِ



ارْتَسَمَتِ انْتِسَامَةٌ عَلَى وَجْهِهِ وَقَالَ : « نَتَّ شَبُّ نَبِيلٌ . » ثُمَّ تَحَوَّلَتِ الْإِنْتِسَامَةُ إِلَى
عُيُوسٍ قَاتِمٍ . وَأَضَافَ يَقُولُ : « وَلَيْسَ كَذَلِكَ أَنْ كَامِلٌ ! - لَيْسَ كَذَلِكَ الشَّعْبُ
الْأَحْمَرُ ! »

تَعَلَّبَ فَضُولِي عَلَى رَغْنِي فِي تَهْدِئَةِ غَضَبِ مُحَدَّثِي . فَقُلْتُ
« مَنْ هُوَ الشَّعْبُ الْأَحْمَرُ ؟ »

فَأَجَبَ بِصَوْتٍ يَحْقُقُ لِحَقْدُ قَائِلًا . « مَنْ هُوَ ؟ عِنْدَمَا فَهَرَ الْجَيْشُ الْأِسْكَنْدَرِيُّ فِي
مَعْرَكَةِ كَالُودِينَ أَخِيرَ أَرْدَشِيلَ عَلَى الْفِرَارِ إِلَى فَرَنْسَ . صَادَرُوا أَرْضِيَهُ وَجَرَّدُوا أَهْلَهُ مِنْ
السَّلَاحِ ، نَلَّ مَنَعُوهُمْ مِنْ لُبْسِ شِعَارِ السَّانَةِ . لَكِنَّهُمْ لَمْ يَقُومُوا عَلَى تَرْعِ الْإِبْخْلَاصِ مِنْ
قُلُوبِ آبَاءِ الشَّعْبِ . وَهَذِهِ لَضَرِيَّةٌ تُثَبِّتُ ذَلِكَ .

« ثُمَّ سَعَى كُولِينُ كَامِلٌ إِلَى التَّقَرُّبِ مِنْ حَيْمَنْ شَقِيقِ أَرْدَشِيلَ . وَتَمَكَّنَ بِهَذِهِ الْوَسِيلَةِ
مِنْ اكْتِشَافِ لَطَرِيقَةِ الَّتِي تَسَرَّبُ بِهَا الضَّرِيَّةُ الثَّانِيَّةُ إِلَى خَارِجِ الْبِلَادِ . وَأَسْرَّ بِالْأَمْرِ إِلَى
سَيِّدِهِ . الْمَلِكِ جُورْجِ . فَطُرِدَ أَنْصَارُ أَرْدَشِيلَ مِنْ مَرَارِعِهِمْ وَتَرَكُوا يَتَضَوَّرُونَ جُوعًا ،
وَسُتْبَدِلَ بِهِمْ مُزَارِعُونَ آخَرُونَ مِنْ رِجَالِ كَامِلٍ

« وَقَدْ لُقِّبَ كُولِينُ كَامِلٌ . لِحِيلَتِهِ الْخَاسِيَةِ تِلْكَ وَشَعْرِهِ الْأَحْمَرَ . بِالشَّعْبِ الْأَحْمَرِ .
لَكِنَّهُ سَيَدْفَعُ قَرِيبًا ثَمَنَ شُرُورِهِ . فَقَدْ أَقْسَمْتُ أَنْ الْأَحِيقَةَ وَاقْتُلَهُ ! »

ما إن انتهى أثر كلامه حتى رأينا القبطان يقبل نحونا نادي القلق ويسألنا أن نرافقه
إلى ظهر السفينة

وندا لنا أن في دعوتيه تلك فحاً. لكن لهفتة أقعنا مرافقته

كان الطلام آنذاك محيماً والحو عاصفاً وكانت الرياح تدفع السفينة جنوب الساحل
الصحري وقد رغب القبطان في الاستعانة بالأسلحة، وهو أن تلك البلاد، بقدر على
توجيه السفينة بأمان في تلك المنطقة الصحريّة الخطرة.

قرر أن أنه ليس بخاراً. لكنه وعد أن يثذل جهده وقد تمكن بالفعل. بمساعدة
نقص البحارة، من تجنب السفينة موقعتين صخريتين كبيرتين

ثم انقلبت لريخ فحاة فارتدت السفينة وصطدمت بغص الصخور المحاورة.
محدثاً صخباً هائلاً، ونثر بعض خشبها في موضع الاضطدام شطاب ووفنا كذا
أرضاً

وسرعان ما تماكنت نفسي هوفت وركفت صوت حاب السفينة فرائت، على
ضوء القمر، أننا قريبون جداً من الشاطئ، لكن الريح كانت تهرق السفينة نرفقا
وسمعا البحارة المرحى في العسر لأمامي يصبحون مشعين

حر ريتش وأخذ البحارة فارب أشعة إلى حاب السفينة ثم سمعا فحاة صوتاً
يصبح قابلاً. «الحما يا رب!»

في تلك اللحظة انصبت علينا موجة هائلة قنبر السفينة. ورأيت نفسي أقذف في
البحر

كذت أعرق، وانتفت ماء كثيراً لكي تمكنت أخيراً من رفع رأسي فوق الماء
لم أكن سباحاً ماهراً، ووجدت نفسي مشغلاً بتأمين قدرتي على التنفس أكثر من
اهتمامي بالوجهة التي أتحرك فيها.

على أي حال، فقد رمى القدر بين يدي حزمة من سارية السفينة تعلقت به، وحملني
إلى المباد الحادثة، حيث شكرت ربي على بقائي حياً.

بعد ساعة من التخديف وصلت حبباً رميلاً محاطاً بتلال منخفضة تركت لها
الحشة وحوضت الماء إلى الشاطئ ووقفت على رماله منهكاً دليلاً. وبنت نوماً أشبه
بالإعلاء

عندما أفتت انتفت حولي أنحت عن ناحير فلم أر أحداً. فمشيت وحيداً نائساً
ضوء الشرق عني أخذ أحداً من الناس. وسرعان ما اغترصني نهر يتبع عرصة نصف ميل.



تَحَوَّلْتُ عَنْ اتِّحَايِ وَتَبِعْتُ مَجْرَى النَّهْرِ أَتَبَحْتُ عَنْ طَرِيقَةِ أُعْبُرُهُ بِهَا
وَبَعْدَ سَاعَتَيْنِ مِنَ الْمَشْيِ وَجَدْتُ نَفْسِي فِي الْمَكَارِ عَيْنِهِ الَّذِي خَوَّضْتُ الشَّاطِئُ فِيهِ.
لَقَدْ كُنْتُ فِي حَرِيرَةٍ!

صَابِي، عِنْدَمَا وَعَيْتُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ، هَلَعْتُ وَاحْتِسَاسٌ مَرِيرٌ بِالْوَحْدَةِ. وَزَادَ فِي بُؤْسِي
أَنِّي رَأَيْتُ دُخَانًا يَنْصَاعِدُ مِنْ مِدْحَةٍ يَبْتِ قَائِمٍ عَلَى لَبٍّ لِقَرِيبٍ مُقَدِّمٍ لِلْحَرِيرَةِ الَّتِي
عَلَّقْتُ فِيهَا

كُنْتُ أَتَصَوَّرُ جَوْعًا فَدَوْنْتُ مَحَارًا يَبْتًا. فَشَعَرْتُ بِمَعِدَّتِي تَقْلِبُ وَتَقْيَاتُ مِرَارًا
تَكَيْتُ قَهْرًا وَقَدْ رَأَيْتُ نِصْفَ مِيلٍ مِنَ الْبَحْرِ يَسُدُّ أُمِّي طَرِيقَ الْحَيَاةِ. وَأَحِيرًا،
تَمَدَّدْتُ عَلَى الْأَرْضِ وَحَاوَلْتُ أَنْ أَنَامَ.

لَمْ أَعْرِفْ طَوَالَ رِحَّتِي كُلَّهَا تَحْرِيَةً أَشَدَّ مَرَارَةً عَلَى النَّفْسِ مِنْ نَيْتِ الَّتِي عَرَفْتُهَا فِي
صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي. فَقَدْ رَأَيْتُ قَارِبَ صَيْدٍ صَغِيرًا قَرِيبًا مِنْ شَاطِئِ الْجَزِيرَةِ. وَاحْدَتُ
أَصْبَحُ طَالِبًا الْعَوْنَ. وَعِنْدَمَا سَمِعَ الْبَحَّارَةُ صِيَاحِي التَّقَنُّوا إِلَيَّ وَصَحَّحُوا، وَخَاصُّونِي بِلُغَةٍ
سُكَانِ الْمُرْتَفَعَاتِ الْمَحَلِّيَّةِ، فَلَمْ أَفْهَمْ شَيْئًا.

لَكِنَّ الْقَارِبَ لَمْ يَتَوَقَّفَ. وَلَمْ أَصَدِّقْ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْفَسَاوَةِ بِحَيْثُ يَتْرُكُ إِنْسَانًا فِي
جَزِيرَةٍ مَهْجُورَةٍ. فَحَرَيْتُ عَلَى الشَّاطِئِ أَصْبَحُ صِيَاحًا مَجْنُونًا. عَيْرًا أَنْ رَدَّ بَحَّارَةُ لِقَارِبٍ



على صباحي كان إغراقاً في الصبح . فحلت على الأرض أبكي كما يبكي طفل غاضب .

عشت يوماً أربعة على المحار التي الكريه وثمار الغليق التي ثم مرة قرب صيد آخر . وعندما ناديت سدار صوبي وسعيت أحد البحارة يصبح مخاطباً إياي بعة سكان المرتفعات . وعلى الرغم أنني لم أكن أنكم تلك اللغة فقد تلفت كلمة «مد»

وفجأة انكشف أمامي السب الذي حمل بحارة قرب الصيد الأول على الصبح . فإنه حين ينحسر المد تنخفض مياه الممر المائي الذي ضفته نهراً ، وتصبح ضحلة يسهل عبورها إلى البر الرئيسي .

وبينما رحت أحوص المياه الضحلة تناوتني مشاعر الارتياح لإخلاصي والثورة على نفسي لعبائي

وهكذا وجدت نفسي على شاطئ راسل الأجرد . أتوجه صوب المنزل الذي رأيت الدخان يتصاعد منه وأنا فوق الجزيرة . وصلت في نحو السادسة من ذيك المساء كوخاً منخفضاً خيراً المظهر .

ورأيت محوراً يجلس خارج الكوخ يدخن عليناً استقرت من العجوز عن مصر بحارة السفينة المحطمة . فأعني أن عدداً منهم قد وصل الشاطئ سالماً وأقام في كوخه بعض الوقت .

سألت : «أكان بين الناجين رجل ذو ثياب مميزة؟»
أجاب أنه كان بينهم رجل لا يلبس ثياب نحار . ثم رأيته يهتف فجأة «لا ند أنك الفتى الذي يحيل الرر المضي» .

أجبت وأنا أريه لزر : «أنا هو» .

قال . «إن لك عندي رسالة . عليك أن تلحق صديقك إلى منطقتي عبر توروسي» .
ثم أدخلني كوخه وعرفني إلى زوجته . واستمع الزوجان إلى مغامراتي ثم سمحا لي أن أقیم تلك الليلة في كوخيهما . وقدما لي طعاماً .

بَدَأْتُ فِي صَاحِ الْيَوْمِ الثَّلَاثِي رِحْتِي . كَانَتْ الْحَسِيرَةُ إِلَى تُوْرُوسِي طَوِيَةً . وَكَانَ الرَّيْفُ
فَقِيرًا يُعَشُّشُ فِي طُرُقَاتِهِ الْمُتَسَوِّلُونَ وَالشُّطَارُ وَالْمُصُوصُ . وَقَدْ حَاوَلَ الدَّلِيلُ الَّذِي اسْتَأْجَرْتُهُ
لِيَدُلِّي عَلَى الطَّرِيقِ أَنْ يَسْتَبِي مَالِي . لَيْدًا فَإِنِّي شَعَرْتُ . عِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَى تُوْرُوسِي .
بَارْتِيَا حِ عَظِيمٍ .

وَتَقَبَّتُ تَعْلِيمَانِي هُنَاكَ مِنْ رَبَّانٍ الْمُعَدِّيَةِ الَّتِي تَصِلُ بَيْنَ تُوْرُوسِي وَكِتْلُونُشَالِنْ .
لَمْ أُخْسِرْ لِنَصْرَفِ أَوَّلِ الْأَمْرِ مَعَ رَبَّانٍ الْمُعَدِّيَةِ . إِذْ عَرَضْتُ عَلَيْهِ مَالًا لِقَاءِ مَعْلُومَاتٍ
تُوصِلُنِي إِلَى الْآنَ . ثُمَّ كَانَ حَصِي مَعَهُ . حِينَ أَرَيْتُهُ الرَّرَّ الْفِضِّيَّ . خَيْرًا مِمَّا سَبَقَ . فَدَلَّنِي
عَلَى الطَّرِيقِ الَّتِي أَسْلُكُهَا .

شَكَرْتُهُ فَقَالَ لِي : «لِأَنَّكَ الْفَتَى الَّذِي يَحْمِلُ الرَّرَّ الْفِضِّيَّ عَنِّي أَنْ تُسَاعِدَكَ . لَكِنْ
حَاضِرُ بَعْدَ الْيَوْمِ أَنْ تَرْفَعَ صَوْتَكَ بِالسُّوَالِ عَنْ الْآنَ نَرِكَ . وَأَنْ تَعْرِضَ نُقُودَكَ لِقَدِيرَةٍ عَلَى
سَيِّدِ اسْكُتْلَنْدِي .»

شَعَرْتُ بِالْخَجَلِ مِنْ نَفْسِي وَاعْتَذَرْتُ .



قَضَيْتُ لَيْلَةً فِي نَزْلِ فِي كِنَلَوْتِشَالِنْ . وَبَدَأْتُ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الْتَالِي رِحْلَتِي إِلَى آيِنْ .
مِنْطَقَةِ الْآن . وَكَانَتْ الرُّحْلَةُ تَسْتَغْرِقُ يَوْمَيْنِ وَسَطَ أَرْضٍ وَعَرَّةٍ وَحَطْرَةٍ .

وَقَدْ سَرَّني . لِذَلِكَ . أَنِّي تَعَرَّفْتُ . فِي الْحَزْنِ الْتَالِي مِنْ أَسْفَارِي . إِلَى مُبَشِّرِ حَوَالِي
يُدْعَى السَّيِّدَ هَنْدِرْلَانْد . وَقَدْ وَافَقْتُ طِمَاعُ ذَلِكَ الْعَبَشِّرِ مُيُولِي . وَقِلْتُ دَعْوَتُهُ لِلْإِقَامَةِ عِنْدَهُ
تِلْكَ اللَّيْلَةَ .

لَمْ أَكُنْ رَاغِبًا . عَلَى أَيِّ حَالٍ . فِي التَّعَرُّفِ إِلَى جُونِ كَلِيمُور ، الَّذِي وَجَّهَنِي الْآنَ إِلَى
أَنْ أَقِيمَ لَيْلَتِي عِنْدَهُ . فَإِنْ تَجَرَّبَتِي مَعَ سُكَّانِ الْمُرْتَفَعَاتِ الْجُفَاءِ جَعَلْتَنِي أَبْدِي مِنْهُمْ جَانِبَ
الْحَذَرِ .

وَفَرَّ عَلَيَّ السَّيِّدُ هَنْدِرْلَانْد . فِي الْيَوْمِ الْتَالِي . مَسِيرَةَ نَهَارٍ كَامِلٍ . إِذْ نَقَلَنِي فِي زَوْرَقٍ
عَبْرَ أَحَدِ الْخُلُجَانِ إِلَى مِنْطَقَةِ آيِنْ .

لَا حِطُّتُ . وَنَحْنُ نَعْبُرُ الْخَلِيجَ . وَمَصَّاتِ حَمَرَاءِ تَتَبَعْتُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُحَازِيَةِ
لِلشَّاطِئِ . سَأَلْتُ عَنْ تِلْكَ الْوَمَصَّاتِ فَقِيلَ لِي إِنَّهَا . فِي الْعَالِبِ . صَادِرَةٌ عَنْ حُنُودِ الْمَلِكِ
جُورِجِ الَّذِينَ حَاوُوا يَطْرُدُونَ أَنْصَارَ آلِ مَشِيوَارْتِ فِي تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ مِنْ مَزَارِعِهِمْ .

أَنْزَلَنِي الْقَارِبُ فِي مَكَانٍ مِنَ الشَّاطِئِ قَرِيبٍ مِنْ تَفْةٍ حُرْحِيَّةٍ . وَهُنَاكَ حَسْتُ أُسْتَرِيحُ
وَأَتَاوَلُ شَيْئًا مِنَ الطَّعَامِ وَأَفَكَّرُ فِي أَمْرِي .

وَقَدْ قَطَعَ عَلَيَّ تَفْكَيرِي أَصْوَتُ خَبَايَةِ تَرَدَّدَ صَدَاهُ مِنْ حَوْبِي . ثُمَّ رَأَيْتُ مَوْكِبَ
الْحَيَاةِ يَقْتَرِبُ مِنِّي ، كَأَن لِّأَوَّلِ رَحَلًا صَخْمًا أَحْمَرَ لَشَعْرٍ ، وَكَأَن لِّثَانِي ، كَمَا يُوحِي
مَظْهَرُهُ ، مُحَمِيًا ، وَلِثَانِثُ خَدِيمًا ، وَلِالرَّابِعِ صَابِغًا .

إِعْتَرَضْتُ الْمَوْكِبَ وَحَيْثُ قَائِدُهُ : وَسَأَلْتُ عَنِ الطَّرِيقِ إِلَى أَوْتَارُون .

نَظَرَ الرَّجُلُ إِلَيَّ بِضُرَّةٍ نَاقِيَةٍ وَقَالَ : « مَنْ تَقْصِدُ هَذَا ؟ »

« حَبْتُ : تَقْصِدُ جَيْشَ غَيْنٍ . »

رَأَيْتُ التَّحَنُّمَ عَلَى وَجْهِ الرَّحَلِ وَتَسَرَّعْتُ أَصَيْفُ قَبِيلًا : « مِنْ رَعَايَا الْمَيْثُ جُورِحِ
الْمُحْبِصِينَ . »

« حَبْ ، دُونَ أَنْ يَتَدَوَّ مُطْمَئِنًّا إِلَى كَلَامِي : « عَظِيمٌ ، وَلَكِنْ لِمَ تَقْصِدُ أَحَا أَرْدَشِيلَ
غَيْرَ اسْتَقْبَقٍ ؟ وَتَتَعَمَّنِي أَنِّي صَاحِبُ لُحُودٍ هَذَا . إِنَّ قُوَّتَ لَمِيلِكِ تَحْتَ بِمَرَّتِي . »

أَدْرَكْتُ عَيْنَيْدِي فِي وَجْهِ كَوْنِي كَامِلٍ ، الثَّغْلَبُ الْأَحْمَرُ - عَدُوُّ لَكُنِ الْأَلَدَّ .

تَسَرَّعْتُ فِي لَجُوبٍ ، لَكِنْ مَا هِيَ إِلَّا لَحْطَاتٌ حَتَّى انْصَقَّتْ رَصَدَةً مِنْ أَعْلَى
لَتْنَةٍ ، وَهَوَى كَامِلٍ مِنْ عَلَى حِصَايِهِ وَهُوَ يَتَنَبَّأُ قَبِيلًا : « صَبَتْ . »

قَفَزَ الْمُحَامِي عَنْ حِصَايِهِ ، وَرَفَعَ الرَّجُلُ يَدَيْ ذِرَاعَيْهِ . هُوَ جَدُّهُ دُونَ حَرَاكِ مَاتِ
الثَّغْلَبُ الْأَحْمَرُ !

شَنَنِي لِمَشْهَدِ مَرْوُوعٍ . وَوَقَفْتُ جَامِدًا كَالْحَصَةِ . ثُمَّ لَمَحْتُ بِصَرْفِ عَيْنِي شَخْصًا
مُتَشَبِّهًا بِالسُّودِ يَخْرِي فَوْقَ لَتْنَةٍ هَارٍ ، رَلَمْتُ وَصَحْتُ : « ذَلِكَ هُوَ لَقَاتِلُ ! »

حَرَرْتُ صَوْبَ الْقَاتِلِ طَارِدَةً . سَمِعْتُ الْمُحَامِي يَصِيحُ : عَشْرَةُ جُنَيْهَاتٍ لِمَنْ
يُمْسِكُ ذَلِكَ الْفَتَى . بِهِ شَرِيكَ فِي الْحُرْمِ تُرْسِلُ إِلَى هُنَا لِإِعْتِرَاضِنَا وَإِقْفَانِنَا .

سَمِعْتُ ذَلِكَ عَدَبٌ فِيَّ لِهَاجٍ كُنْتُ نَمُطَّارِدَ فَصَرْتُ الطَّرِيدَ ! انْتَفَتُ وَرَائِي فَرَأَيْتُ
دَوَى لِمَعَاطِفِ أَحْمَرَةٍ مِنْ عَسْكَرِ السُّطَّةِ فِي أَغْطَانِي .





وَفِي لَحْظَةٍ أَتَى بَدَا لِي فِيهَا أَنَّ مُعَامِرَانِي قَدْ وَصَلَتْ إِلَى حَاطَةِ مُخْرَجَةٍ . سَمِعْتُ مِنْ
عَلَى يَمِينِي صَوْتًا خَفِيفًا أَمْرًا يَقُولُ :

«تَعَالَ هُنَا بَيْنَ الْأَشْجَارِ .»

كَانَ الْجُودُ يُوشِكُونَ أَنْ يُضْفُوا عَلَيَّ . وَصَعْتُ لَصَوْتٍ لِأَمْرٍ دُونَ تَرَدُّدٍ وَكَانَتْ
طَلَقَاتُ الْمُطَارِدِينَ قَدْ حَدَّتْ تَطَايُرَ حَوَّيٍّ وَيَتَرَدَّدُ صَدَاهُ فِي رُوحِهِ الْغَايَةِ .

كَانَ ذَلِكَ الْآنَ !

قَالَ لِي : «تَعَالَ . اتَّبِعْنِي !» ثُمَّ انْدَفَعَ فِي سُرْعَةٍ خَاصِفَةٍ . رَكَضْتُ مُحَارِبًا سُرْعَتَهُ
أَمِيلًا ، فَقَدْ أَوْرَثَنِي لَخَوْفٍ قَدْ مَأْمُجَحَةً . أَحِيرٌ رُتَمِي أَنَّنِي عَلَى الْأَرْضِ . وَسَقَطْتُ إِلَى
جَانِبِهِ وَقَدْ كَادَتْ أَنْفَاسِي تَقْطَعُ .

تَمَالَكَ أَلَنْ نَفْسُهُ ، بَعْدَ تِلْكَ الْمُطَارَدَةِ . قَبْلِي . وَقَفَ وَانْتَمَتْ حَوْلَهُ هَيْبَةً . ثُمَّ عَادَ وَجَلَسَ إِلَى جَانِبِي .

قَالَ : « كَانَتْ مُطَارَدَةٌ حَامِيَةً ، يَا رَوِيْن . »

لَمْ أَقُلْ شَيْئًا . وَدَفَنْتُ وَخْهِي بَيْنَ الْأَعْشَابِ كُنْتُ قَدْ رَأَيْتُ بَيْلًا مِنْ بِلَادِ لِبْلَادِ يَمُوتُ مَوْتًا فُحَاشِيًّا . لَمْ أَكُنْ قَدْ صَحَوْتُ مِنَ الصَّدْمَةِ بَعْدُ ، وَكَانَتْ الْحَسْرَةُ عَلَى ذَلِكَ لِرَجُلٍ لَا تَرَاهُ طَغِيَّةً عَلَى قَلْبِي .

رَأَيْتُهُ يُقْتَلُ أَمَامَ عَيْنَيَّ . وَكَانَ كَأَن قَدْ أَفْسَدَ أَنْ يَقْتُلَهُ . وَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَسْرَحِ الْجَرِيْمَةِ . وَسَوَاءٌ عِنْدِي أَكُنْ قَتَلْتُهُ بِيَدِهِ أَمْ أَمَرَ أَحَدًا بِقَتْلِهِ . فَالْجَرِيْمَةُ هِيَ هِيَ صَدِيقِي الْوَحِيدُ فِي هَذِهِ الْمُرْتَفَعَاتِ الْجَدْفِيَّةِ قَاتِلًا . وَلَمْ أَقُوْ عَلَى رَفْعِ رَأْسِي وَمُوجَهَتِهِ .

سَأَلَنِي أَلَنْ . « أَلَا تَرَاهُ مُنْعًا ؟ »

أُحِبُّتُ . وَوَحْهِي لَا يَرَاهُ مُعْطًى : لَا . لَسْتُ مُنْعَبًا . لَكِنْ . عَيْبٌ . نَحْنُ الْإِنْسَانُ . أَنْ نَفْتَرِقَ . نَحْسُنْكَ يَا أَلَنْ كَثِيرٌ . لَكِنْ صَرِيْقُكَ غَيْرُ صَرِيْقِي .

سَأَلَنِي . وَقَدْ عَنَتْ وَجْهَهُ بَصْرَةً حَادَّةً . « وَمَا لَدَا عِي ؟ »

أُحْسِنْتُ بِأَفْعَالٍ : « أَلَا تَعْلَمُ ؟ إِنْ فِي صَرِيْقِي رَجُلًا مَقْتُولًا قَسَمْتُ أَنْتَ عَلَى قَتْلِهِ . » رَدَّ عَلَيَّ أَلَنْ بِبَرَّةٍ غَضِيْبَةٍ قَبِيْلًا . « نَعْنُ نَعْنِي . إِذْ أَرَدْتُ أَنْ أَقْتُلَهُ . أَقَوْمُ بِذَلِكَ فِي مُنْطَقَتِي . فَأَحْلَبَ عَلَى شَعْبِي لِمَتَاعِبٍ ؟ وَهَلْ أَتَى لِقَتْلِهِ وَبِئْسَ مَعِي إِلَّا قَصْبُهُ صَيْدٍ ؟ »

نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَرَأَيْتُ أَنَّ مَا كَانَ يُمَسِّكُهُ بِيَدِهِ الْبُيْرَى لَمْ يَكُنْ فِعْلًا إِلَّا قَصَصَةً صَيْدٍ قُلْتُ مُعْتَدِرٌ : « أَنْتَ فِعْلًا غَيْرُ مُسَبَّحٍ . »

أَصَافَ أَلَنْ يَقُولُ « وَالْآنَ أَقْسِمُ لَكَ بِشَرَفِي أَنْ لَا يَدَّ لِي فِي قَتْلِ هَذَا الرَّجُلِ . »

صِخْتُ . وَقَدْ نَزَّاحَ عَنْ قَلْبِي عَيْبٌ تَقْبِيلٌ . « حَمْدًا لِلَّهِ ! »

مَدَدْتُ يَدِي أَصَافِيْحَةً مُعْتَدِرٌ عَنْ تَهْمَتِي نَظَالِمَةٍ . وَتَرَدَّدَ أَلَنْ فِي مُصَافَحَتِي . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى يَدِي بِكِلْتَا يَدَيْهِ . وَقَالَ إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ مِثْلَ هَذِهِ الْإِهَانَةِ إِلَّا لِي

إِطْلَقْنَا مَعًا إِلَى مَتَرٍ حَيْمُسَ غُلٍّ . وَوَجَدْنَا أَنَّ بَدَأَ اعْتِيَادَ الثَّغْلِ الْأَحْمَرِ قَدْ نَعَتْ
الْهَلَمَّ فِي هَذِهِ الْبَيْتِ كَثِيرًا .

رَحَّبَ بِحَيْمُسَ تَرْحِيًا عَصُوفًا . لَكِنَّهُ بَدَأَ مُتَعَبًا شَدِيدَ الْقَلْقِ . وَكَانَ لِحَدَمٍ مِنْ حَوْلِهِ
يُخْرِجُونَ أَسْلِحَةً كَانَتْ مُخَدَّةً فِي مَتَرِهِ وَيَذْفُونَهَا فِي أَمَاكِنَ بَعِيدَةٍ عَنِ الشُّهُاتِ .
تَحَدَّثَ حَيْمُسَ إِلَى أَلَّنَ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ . وَكَانَ صَوْنُ الْوَقْتِ يُكْثِرُ مِنَ الْمَصْرِ يَقْلِقُ إِلَى
خَافَةِ اللَّهِ . كَانَ يَتَوَقَّعُ وَصُولَ ذَوِي الْمَعَاطِفِ الْحَمَرَاءِ مِنْ جُودِ الْمَلِكِ بَيْنَ لَحْظَةٍ وَآخَرَى .
جَاءَنَا خَادِمٌ يَزَادُ سِلَاحًا وَذَخِيرَةً وَنَعَضَ الْمَاءِ . قَالَ حَيْمُسَ .

«سَأَرْسِلُ لَكَ . إِذَا قَدِرْتُ . مِثْلًا آخَرَ مِنْ مَاءٍ . لَكِنْ عَيْنُكَ الْآنَ مُعْدَرَةٌ لِمَكَانٍ
حَالًا . سَيَنْهَمُونَكَ بِقَتْلِ كَامِلٍ . وَسَيَقْبِلُونَ الْأَرْضَ بِحَدِّ عَيْنِكَ . وَإِذَا كُنْتَ نَتَّ مِنْهُمْ .
فَسَتَجِدُهُ نَحْوِي شُكُوكُهُمْ . إِذْ بِي قَرِيبٌ لَكَ . وَيَعْرِفُونَ أَنَّكَ لَحَاتٌ إِلَيَّ وَنَزَلْتُ عِنْدِي فِي
مُنَاسِبَةٍ سَابِقَةٍ .»

ثُمَّ نَظَرَ بِي وَقَالَ : «بِهِمْ يَتَحَدَّثُونَ عَنْكَ بِصَوْنٍ أَنَّ شَرِبْتُ فِي قَتْلِ . وَإِذَا مُسْكُوكَ
فَسَيُعَذِّبُوكَ لِيَبْرُحَ بِسْمِ الْقَاتِلِ .»

كَانَ وَجْهُهُ فِي أَثْنَاءِ كَلَامٍ شَاحِبًا . وَكَانَ يُكْثِرُ مِنْ قَصْرِ أَظْهُرِهِ قَلْبًا
نَظَرْنَا . أَنَّهُ وَلَّيْنِ . وَاحِدُهُ فِي وَجْهِ الْآخَرِ . لَقَدْ وَجَدْنَا نَفْسِيَا مَضُوبَيْنِ بِحَرِيمَةٍ قَتْلٍ لَمْ
تُرْنَكِنِي . كَانَ مِنَ الْعَبَثِ مُحَدَّوَةً بِثَبَاتٍ بَرَاءَةٍ مَاءَ لِسْطَةٍ . إِذَا وَدَّعَا حَيْمُسَ وَدَاعًا
سَرِيعًا وَنُصْقًا فِي نَهْمٍ نَتَّ مِثْلَهُ غَيْرِ الْمُقْمَرَةِ مُضْمِنِينَ إِلَى أَنَّ الصَّلَامَ لِدَامِسَ يَسْتُرُ
تَحَرُّكَاتِنَا .

كَانَتْ رِخْتُهُ قَاسِيَةً وَسَرِيعَةً . كَمَا تَرُكْضُ حَتَّى نَعْرِجَ عَنْ مُوَاصَلَةِ الرُّكْضِ . فَسَعَى
هَرُؤَلُهُ دَقِيقًا نَتَقَطُ فِيهِ نَمَسًا . لِيَعُودَ نَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مُوَاصَلَةِ الرُّكْضِ .

وَصَلَدْنَا عِنْدَ الصَّبَاحِ إِلَى وَدٍ تُعْطِيهِ الصُّخُورُ الصَّخْمَةَ . وَيَخْرِي فِيهِ نَهْرٌ جَيَّاشٌ
قَالَ لِي أَلَّنَ : «تَعَالَى . غَيْثُكَ نَظِيرُ النَّهْرِ . فَيَسِي فِي هَذَا الْحَانِبِ مَا يَسْتُرُ . إِنَّمَا هُنَا
مَكْشُوفٌ .»

رَكَضَ صَوْبَ النَّهْرِ وَقَفَزَ إِلَى صَحْرَةٍ فِي وَسْطِهِ. قَفَزَتْ مِنْهُ. وَكِدَتْ أَرْلِقُ عَنْ
الصَّحْرَةِ لَوْ لَمْ يُعْصِكَ بِي

وَقَفْنَا مَعًا عَلَى تِلْكَ الصَّخْرَةِ الصَّغِيرَةِ الْمُبَلَّلَةِ مِنْ حَوْلِنَا الْمَاءِ الْحَارِفُ. وَكَانَ لَا يَرَالُ
عَلَيْنَا أَنْ نَقُومَ بِقَفْزَةٍ أَوْسَعَ مِنْ سَابِقَتِهَا.

نَظَرْتُ إِلَى حَافَةِ النَّهْرِ الْأُخْرَى فَتَأَكَّدْتُ أَنَّي لَنْ تَتِمَّكَ مِنْ الْوُصُولِ إِلَيْهَا. فَعَطَّيْتُ
عَيْنِي بِإِصْبَعِي هَزَنِي أَلَنْ هَزًّا عَنِيًّا وَصَرَخَ بِكَلِمَاتٍ لَمْ أَسْمَعْ مِنْهَا وَسَطَ هَدِيرِ الْحَيَاةِ كَيْمَةً
وَاحِدَةً.

هَزَنِي مَرَّةً أُخْرَى وَقَرَّبَ شَفْتَيْهِ مِنْ أُذُنِي وَصَاحَ: «تَعَلَّقْ أَوْ غَرَقْ!» ثُمَّ قَفَزَ قَفْزَةً
هَائِلَةً أَوْصَلَتْهُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ مِنَ النَّهْرِ.

أَذْرَكْتُ أَنِّي إِذَا لَمْ أَقْفِزْ الْآنَ فَلَنْ أَقْفِزَ قَدًّا. تَحَفَّزْتُ. وَرَمَيْتُ بِجَسَدِي كُلَّهُ فِي
قَفْزَةٍ بَائِسَةٍ، وَتَمَكَّنْتُ مِنَ التَّعَلُّقِ بِالطَّرَفِ الْآخِرِ. لَكِنَّ جَسَدِي كَانَ فِي الْمَاءِ. وَلَمْ أَكُنْ
لِأَقْدِرَ عَلَى مَقَاوِمَةِ تَيَّارِ الْمَاءِ بِحَارِفٍ طَوِيلًا. فَاسْرَعَ أَنِّي يُعْصِكَ بِي مِنْ شَعْرِي وَيَشُدُّنِي إِلَى
بَرِّ الْأَمَانِ.





رَأَيْنَا فِي مَوْضِعٍ قَرِيبٍ مَاءً نَفْعَةً صَلْبَةً ، فَانْقَضَا عَلَى أَنْ نَحْطِرَ بِالشَّرُولِ مِنْ فَوْقِ
الصَّخْرَةِ . فَلِلْمَوْتِ طَعْمٌ وَاحِدٌ ، بِضَرْبَةِ شَمْسٍ كَانَ أُمُّ بِضَرْبَةِ سَيْفٍ
تَمَكَّنَا مِنَ الْوُصُولِ إِلَى النُّفْعَةِ الطَّيِّبَةِ سَالِمِينَ فَمَكَّنَا هُنَاكَ إِلَى أَنْ اسْتَعْدَدْنَا قَوَانَا ، ثُمَّ
أَمَرَ آلُ سُلَيْمَةَ الْمَسِيرَةَ .

رَحْنَا نَسْلُكُ مِنْ صَخْرَةٍ إِلَى صَخْرَةٍ ، نَارَةٌ نَحْيِي وَتَارَةٌ رُحْفُ . كَانَ تَقْدُمَا بَطْنُ
وَشَاقَا ، وَمَا إِنْ عَرَلَتْ الشَّمْسُ حَتَّى كُنَّا مُتَهَكِّبِينَ يَكَادُ يَقْتُلُنَا الْعَطَشُ
أَخِيرًا وَصَلْنَا إِلَى جَدُولٍ حَيْلِيٍّ مُتَأَنِّقٍ عَمِيقٍ ، فَأَلْقَيْنَا هُمُومًا جَابِنَا وَعَطَّشَتْ رَأْسِنَا فِي
مِيَاهِهِ الْبَارِدَةِ الْمُنْعِشَةِ

عِنْدَمَا أَطْعَمَانَا عَطَّشْنَا كَانَ اللَّيْلُ قَدْ هَبِطَ ، فَاسْتَأْنَفْنَا مَسِيرَتَنَا مُخَلِّفِينَ الْعَسْكَرَ وَرَاءَنَا .
طَلَعَ لَقَمَرٌ عَلَيْهِ فَأَصَاءَ أَمَامَهُ حِدَالًا وَمَصِيفًا بَحْرِيًّا . وَهُنَاكَ عَرَفَ آلُنَا طَرِيقَهُ فَأَشْرَحَ
صُدْرُهُ وَرَاحَ يُصَفِّرُ صَمِيرًا عَلَيْنَا . وَأَذَرَكْتُ أَنَا نَسَاءً ، إِلَى حَيْنٍ ، فِي أَمَانٍ .

وَصَلْنَا أَخِيرًا إِلَى صَخْرَةٍ عَالِيَةٍ شَدِيدَةِ الْأَنْحَادِ دَنَتْ قَتَبٌ مُقْفَرَةٌ نَسْلُكُ آلِي إِلَى قَتَبِ
الصَّخْرَةِ وَدَنَى لِي حَرَامُهُ . وَشَدَّنِي إِلَى فَوْقِ
انْتَسَمَ لِي وَقَانٌ «الآنَ أَمَامَنَا فُرْصَةٌ لِلرَّاحَةِ» .

وَكَانَ جَوَائِي عَلَى ذَلِكَ أَنِّي ارْتَمَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ فِي الْحَالِ وَغَرِقْتُ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ .
اسْتَيْقَظْتُ عَلَى آلِي يَصْعُقُ بَدَهُ عَلَى فَمِي ، وَيَهْمِسُ «هَـ هَـ إِنْكَ تَشْخَرُ»
أَحْسْتُ بِغَضَبِهِ «وَأَيُّ صَبْرٍ فِي ذَلِكَ؟»

وَمَا آلِي لِي لَا يُنْظَرُ إِنْ أَسْفَلَ . بَطَرْتُ فَرَأَيْتُ عِنْدَ قَاعَةِ الصَّخْرَةِ مَخْشُوعَةً مِنْ دَوِي
الْمُعَاظِلِ الْحَمْرَاءِ . وَرَأَيْتُ حُرْمًا يُرْقِبُونَ الْمَنْطَقَةَ كُنْهَا

لَمْ يَكُنْ أَمَامَنَا إِلَّا أَنْ نَقَعَ فِي مَكَانٍ فَوْقَ الصَّخْرَةِ تَحْتَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ الْمُحْرِقَةِ .
وَفِي سَحْوٍ لِسَاعَةِ الثَّانِيَةِ كُنَّا قَدْ شَعَرْنَا وَكَأَنَّ شَوْيْنَا أَحْيَاءَ . وَلَمْ نَعُدْ نَطْبِقِ الصَّبْرَ عَلَى الْحَالِ

وَصَدَّ عِنْدَ الْفَجْرِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي تَقْصِدُهُ وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا شَقًّا بَعِيدًا فِي رَأْسِ
الْجَبَلِ . بَدَأَ لِي . عَلَى الرُّغْمِ مِنْ غَرَبِيَّتِهِ . جَمِيلًا سَاحِرًا . قَضَيْتُ هُنَاكَ خَمْسَةَ أَيَّامٍ نَامًا فِي
كَهْفٍ وَنَقَصِي الْوَقْتَ فِي صَيْدِ السَّمَكِ .

عَلِمَتِي أَنَّ الْمُبَارَزَةَ بِالسَّيْفِ . وَكَانَ مُعْتَمًا صَدِيمًا . يَضَعُ بِإِذْنِهِ . لِكَيْ تَعْمَتَ
مِنْهُ الْكَثِيرُ .

قَضَيْتُ كَذَلِكَ وَقْتًُا طَوِيلًا نَحْطُطُ لِلْمُسْتَقْبَلِ قُلْتُ أَلَيْسَ إِنَّهُ سَيُحَاوِلُ الْفِرَارَ بِنِ قَرْنِ .
أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَرَدْتُ الْعُودَةَ إِلَى قَصْرِ آلِ شَوْزٍ وَمُطَالَعَةِ عَمِّي بِمِيرَافِي الشَّرْعِيَّةِ .

رَأَيْتُ أَحِيرًا أَنْ يَذْهَبَ مَعًا إِلَى مَنَاطِقِ الْمُنْخَفَضَاتِ حَيْثُ قَدْ أَتَمَكَّنُ مِنْ مُسَاعَدَةِ الْكَلْبِ
فِي حُطْطِ الْهَرَبِ . لَكِنْ كَانَ عَنِّي قَتْلُ كُلِّ شَيْءٍ أَنْ تَتَّصِلَ بِجَيْمَسِ عَيْنِ لِنَعِيمَةٍ بِمَكَانٍ
وُحُودِيَا . وَنَسَّأَلُهُ أَنْ يَجْمَعَ لَنَا مَالًا .



حَضَرْتُ لِأَنَّ فِكْرَةَ فَرِيدَةٍ. سَأَلَنِي أَوَّلًا إِنْ كُنْتُ أَعِيرُهُ الرَّزَّ الْفِضِّيَّ الَّذِي أُعْطَانِي
يَاهُ. فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ رَاجِعًا فِي قِطْعِ زَرٍّ آخَرَ مِنْ مِيعَظِهِ.

ثُمَّ شَقَّ شَرِيطًا صَيفًا مِنْ بَطَانَةِ ثَوْبِهِ رَظَّ بِهِ الرَّزَّ إِلَى عَوْدَتَيْنِ مُتَصَدِّقَتَيْنِ. وَلَفَّ دِرْثَ كَهْ
فِي وَرَاقٍ مِنْ شَجَرِ الصَّوْبَرِ وَابْتَنَولَا. وَقَالَ لِي إِنْ تِلْكَ رِسَالَةٌ سِيرُومِي بِهَا عَمْرَ شُبَالِكِ أَحَدِ
الْبُيُوتِ فِي قَرْيَةٍ مُجَاوِرَةٍ لَهُ فِيهَا أَصْدِقَاءُ.

سَأَلْتُ: «لَكِنْ، أَيُّهُمْ مَنْ تَقَعُ هَذِهِ لِرِسَالَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِ مَعَهَا؟»

قَرَأَ أَلَنْ أَنَّ النَّجَاحَ غَيْرُ مَظْمُونٍ. وَقَالَ: «عَيْنًا أَنْ تُحَرَّبَ. لَكِنْ هَدِيَّتِي الْعَوْدَتَيْنِ
لِمُتَصَالِيَيْنِ شَبِيهَانِ بِالْعَلَامَةِ مُتَعَرِّفٍ عِنْدَهَا بَيْنَ نَصَارَةٍ لِلتَّجَمُّعِ وَلِقِتَالٍ. وَلَمَّا كَانَتْ
رِسَالَتِي خَالِيَةً مِنْ شَيْءٍ فَسَيِّئُهُمْ مَنْ تَقَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ أَنَّهَا لَيْسَتْ دَعْوَةٌ لِحَمَلِ السَّلَاحِ،
بَلْ شَيْءٌ آخَرَ. وَمَنْ يَتَعَرَّفُ إِلَى زَرَّتِي سَبْعَرَفُ أُنِي فِي حَضَرٍ. وَسَتَقُودُهُ وَرَاقُ الصَّوْبَرِ
وَابْتَنَولَا إِلَى هَذَا الْمَكَانِ. ذَلِكَ أَنَّهُ الْمَكَانُ الْوَحِيدُ فِي هَذِهِ لِنَاحِيَةِ الْوَدْيِ يَحْوِي هَدِيَّتِي
الْوَعْدِيَّ مِنَ الشَّجَرِ.»

قُتْتُ وَقَدْ رُتِّمْتُ عَلَى وَجْهِهِ يُسَامَةٌ. «خُطَّةٌ فَرِيدَةٌ. لَكِنْ عِنْدِي خُطَّةٌ أَبْسَطُ
مِنْهَا. لِمَا لَا تُرْسِلُ رِسَالَةً مَكْتُومَةً؟»

أَجَابَ وَهُوَ يَرُدُّ لِي ائْتِسَامَتِي: «لِأَنَّ صَدِيقِي الَّذِي تُرْسِلُ لَهُ الرِّسَالَةَ. يَا سَيِّدُ رُوسِ
فُور، لَا يَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ؟»

تَسَلَّلَ أَلَنْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَسَلَّمَ رِسَالَتَهُ. وَفِي لَيْوَمٍ لَتَالِي دَخَلَ عَلَيْهِ عِنْدَ الظُّهْرِ رَجُلٌ.
جَاءَ بِنَقْلُ الرِّسَالَةِ إِلَى جِيْمِسَ غِلْنِ.

عَادَ الرَّجُلُ بَعْدَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ بِحَمِيلٍ أَتْبَاعَ سَيِّئَةٍ. فَجِيْمِسَ مَسْجُونٌ وَالْحُنُودُ يُمَشِّطُونَ
الرَّيْفَ نَحْشًا عَنَّا. كَانَ مَا مَعَنَا. نَحْنُ الْإِثْنَيْنِ، يَقِلُّ عَنْ سِتَّةِ جُنَيْهَاتٍ، وَكَانَ لَا بُدَّ أَنْ
تَتَدَرَّرَ أَمْرٌ مَقَرَّ أَلَنْ إِلَى فَرَنْسَا.

اسْتَأْذَنَّا رَحْلَنَا بِمَقْلَبِ مَثَلِي. فَالرَّحْلَةُ الْآنَ تَبْدُو طَوِيلَةً، وَتَبْدُو آفَاقُهَا قَاتِمَةً.
 فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ كِدْتُ أَنْسِبَ، بِخِمَافِي، بِضِيَاعِ الْأَمَلِ الْبَاهِتِ بِالنَّجَاحِ الَّذِي كُنَّا لَا
 رَأْيَ نَمَسْكُ بِهِ فَقَدْ مِتُّ فِي أَثَدِ نَوْبَةِ حِرَاسَتِي
 عِنْدَمَا اسْتَيْقِضْتُ رَأَيْتُ نَهْرًا مِنْ اخُودٍ يَقْتَرُونَ مِنْ مَلْجَأِنَا. أَبْقَطْتُ أَلْسُنَ سُرْعَةٍ وَرَأَيْ
 فِي لَحَابِ مَا بَحَرُ فِيهِ مِنْ حَطَرٍ، لَكِنَّهُ لَمْ يُوحِ لِي كَلِمَةً لَوْحَةٍ وَاحِدَةٍ.
 مَ يَكُنْ أَمَامَنَا مِنْ فُرْصَةٍ إِلَّا بِالْإِتِّفَافِ حَوْلَ الْجُودِ. فَقَدْ كَانَ الْإِرْتِدَادُ إِلَى الْوَرَاءِ فِي
 الطَّرِيقِ إِلَيَّ أَثِمًا مِنْهَا غَيْرُ مُمَكِّنٍ فَتَقَدَّمْنَا بَيْنَ الْحَشَائِشِ وَالْجَنَابِ عَلَى أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا،
 كَمَا تَمْشِي الْحَيَوَانَاتُ، مُتَقَبِّلِينَ رَأْسِيًّا. طَوَالَ الْوَقْتِ، مَخْضُوعِينَ قَرِيبًا مِنَ الْأَرْضِ
 وَكَانَ هَذَا النَّوعُ مِنَ التَّحَرُّكِ مُضْهِيًا، فَسَمِعْتُ مِنْ الْوَقْتِ بَضْعَ سَاعَةٍ حَتَّى مِتُّ
 أَشْعُرُ أَنَّ فِي كُلِّ نَفَسٍ أَتَقَبَّلُ بِهِ لَحْيَانِي. وَلَمْ يَحْطَلِي أَنْحِلُ نَتِجَ الْأَلَامِ إِلَّا حَوِيٍّ مِنْ
 عَصَبِ أَلْسِنَةٍ
 أَحِيرًا هَبَطَ السَّيْلُ، إِتَّفَقْنَا وَرَاءَنَا فَرَأَيْنَا أَنَّ الْجُنُودَ لَمْ يَكْتَشِفُوا أَمْرَنَا. وَشَاءَ أَلَّنَ أَنْ



نَمْشِي طَوَالَ اللَّيْلِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنِّي تَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ أَنْ يَسْمَعَ لِي بِأَخْذِ قِشَطٍ مِنَ النَّوْمِ.
 طَلَعَ الْفَجْرُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ لَا نَرَى نَمْشِي. كَانَ جَسَدَانَا مَخْبِيَيْنِ كَخَسَادِ الشُّبُوحِ.
 وَوَجْهَانَا شَاحِبَيْنِ. لَمْ أَكُنْ أَرَى إِلَّا خَيَالَاتٍ، وَلَمْ أَكُنْ أَسْمَعُ شَيْئًا فَقَدْ تَرَكْتُ أَنْيَابِي
 كُلَّهُ عَلَى نَقْلِ قَدَمِي إِلَى أَمَامِ الْأُخْرَى وَكَانَ كَأَنِّي بَرَّحْتُ مَامِي كَالْمَحْجُوبِ.
 فَحَذَّةً فَتَرَ مِنْ بَيْنِ الْحَصَاتِ أَرْبَعَةَ رِحَالٍ وَهَاجَمُونَا بِالسَّكَاكِينِ وَرَمَوْا رُصَصَ. وَلَمْ
 أَعْبَأْ، وَأَنَا مُمَدَّدٌ عَلَى الْأَرْضِ، بِمَا يُصِيبُنِي، فَقَدْ كَانَ كُلُّ مَا يَقْبِي فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ نَبِي
 تَوْقَعْتُ، وَحَمَدْتُ رَبِّي عَلَى ذَلِكَ سَمِعْتُ أَلَّنَ يَهْمِسُ لِأَحَدِ الرِّجَالِ بِاللُّعَةِ الْمَحَلِّيَّةِ،
 وَرَأَيْتُهُمْ يَرْفَعُونَ سَكَكِيْنَهُمْ عَنْ غُنْبِنَا
 قَالَ أَلَّنَ: «إِنَّهُمْ أَصْدِقَاءُ، يَا رُوبِن، إِنَّهُمْ رِجَالُ كَلَانِي مَا كُفِّرْتُمْ مِنَ الْمُنَاحِضِ
 لِسُنْطَةٍ»
 كُنْتُ قَدْ سَمِعْتُ عَنْ ذَلِكَ الْأِسْكَتِلَندِيِّ الشَّهِيرِ، لَكِنْ لَمْ أَكُنْ أَتُصَوِّرُ أَنَّهُ يَجْزُو عَلَى
 الْبَقَاءِ فِي مِثْلِهِ. فَقَدْ كُنْتُ اقْتَرَضْتُ أَنَّهُ لَجَأٌ إِلَى قَرْنَا مَعَ مَنْ لَجَأَ مِنْ جَمَاعَتِهِ.



نَحَدْنَا إِلَى مَخْبِئِهِ الَّذِي كَانَ مُعَلَّقًا بَيْنَ جُذُوعِ أَشْجَارٍ خَبِيفَةٍ وَأَعْصَابِ مُشَاكِكَةٍ.
إِسْتَقْبَلَنَا كَلَابِي سَتَقْدَلًا حَسَنًا وَقَدَّمَ لَنَا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَعَلَى الرُّعْمِ مِنْ ثِيَابِهِ الْعَتِيقَةِ
الْمُتَرَقَّةِ فَقَدْ كَانَ فِي نَصْرَفَاتِهِ صِفَاتُ الرُّعْمَاءِ.

نَعْدُ تَأُولُ الْعَشَاءِ، حَاءَ كَلَابِي يورقي لَعِبٍ واقترحَ أَنْ نَلْعَبَ، إِحْمَرَّ وَجْهِي، فَقَدْ
كُنْتُ وَعَدْتُ أَبِي أَلَّا أَلْعَبَ بِالْوَرَقِ أَبَدًا.

إِعْتَذَرْتُ عَنِ الْمُشَارَكَةِ فِي اللَّعِبِ، وَتَحَيَّتُ حَيًّا كَانَ رَأْسِي يُؤَلِمُنِي أَلَمًا شَدِيدًا،
وَكُنْتُ أَشْعُرُ بِحَرَارَةِ عَائِيَّةٍ وَنَحْدِيرٍ فِي حَسَدِي كَنَّهُ. سَمْتُ يَوْمًا مُضْطَرًّا طَوَالَ يَوْمَيْنِ،
أَتَأَنَّى حَلَالَهُمَا كَوَيْسَ مُرْعَبَةٍ كُنْتُ أَسْتَبْقِظُ فِيهَا عَلَى نَفْسِي وَأَنَا أَصْرُخُ

وَقَدْ أَبْقَطَنِي لِي فِي هَدْيِ الْيَوْمَيْنِ مَرَّةً وَاحِدَةً طَلَبَ مِنِّي فِيهَا قَرْضًا، فَأَعْطَيْتُهُ كُلَّ مَا
مَعِيَ وَعَدْتُ أَنْ يَوْمِي الْمُضْطَرُوبِ

أَسْتَبْقِظُ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ وَقَدْ سَمِعْتُ شَيْئًا مِنْ فَوَائِي. لَكِنِّي اكْتَشَفْتُ أَنَّ أَلِي حَرٌّ
نَقُودًا، نَحْرُ لَأَتِيْسَ وَوَحْدَهُ أَنْفَسًا فِي مَارِقِي حَرَجٍ. أَرَادَ كَلَابِي أَنْ يُعِيدَ إِلَيْنَا نَقُودًا.
لَكِنِّي لَمْ أَكُنْ أَغْرِفُ بِدَاءِهَا. كَانَ مِنَ اللَّاتِقِ أَنَّ أَفْسَها مَنَّا. أَقْبَعِي أَحِيرًا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَسْمَعُ
وَرَاءَ الرِّيحِ، لَكِنِّي كُنْتُ أَحْسَرُ بِخَرَجِ شَدِيدٍ. وَكُنْتُ دَفْعًا عَلَى أَنْ لَأَنَّهُ وَصَعِي فِي
مِثْلِ هَذَا الْمَوْقِفِ.

إِسْتَقْبَلَنَا رَحَلْنَا فِي ضَمْتِ كَتِيبٍ. كُنْتُ عَاضِبًا وَلَكِن رَفِيعَ الرَّأْسِ، وَكَانَ نَسْرُ
غَاضِبًا وَحَحَلًا مِنْ نَفْسِهِ

كَانَ أَلِي خَحَلًا لِأَنَّهُ خَسِرَ مَالِي، وَعَاضِبًا لِأَنِّي غَاضِبٌ مِنْهُ. وَقَدْ رَادَ فِي نَعَاسَتِي أَنِّي
كُنْتُ لَا أَرَأِي أَعَالِي مِنْ نَعَصِ الْإِرْهَاقِ وَارْتِفَاعِ الْحَرَارَةِ اعْتَذَرْتُ لِي أَلِي مَرَّةً عَنْ فِعْلَتِهِ،
لَكِنِّي لَمْ أَكُنْ أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَ مِنْهُ شَيْئًا.

تَأَمَّنَا مَقَرًّا فِي بَلَدِ الدَّحِيَّةِ أَيَّامًا ثَلَاثَةً. أَحِيرٌ قَطَعَ لِي حَتْلَ ابْصَمْتُ بِأَنْ رَاحَ يُضْمَرُ
بِأَسْرَاحٍ وَيُعَيِّي لَقَدْ نَعَبْتُ عَلَى حَحَلِهِ، وَلَآنَ شَرَعَ بِسَحَرٍ مِنِّي فَذَكَرَ أَنِّي مِنَ الرُّعَاةِ
أَتْنَعَ الْمَلِكِ حَوْجِ الْأَوَّلِ. وَأَتِي أَحَافُ لِفَقْرٍ عَمْرٍَ نَهَارٍ صَغِيرَةٍ. أَحِيرًا لَمْ أَعُدْ أَحْتَمِلُ
سَحَرَتَهُ فَأَطَقْتُ الْعَدَا لِمُشَاعِرِي

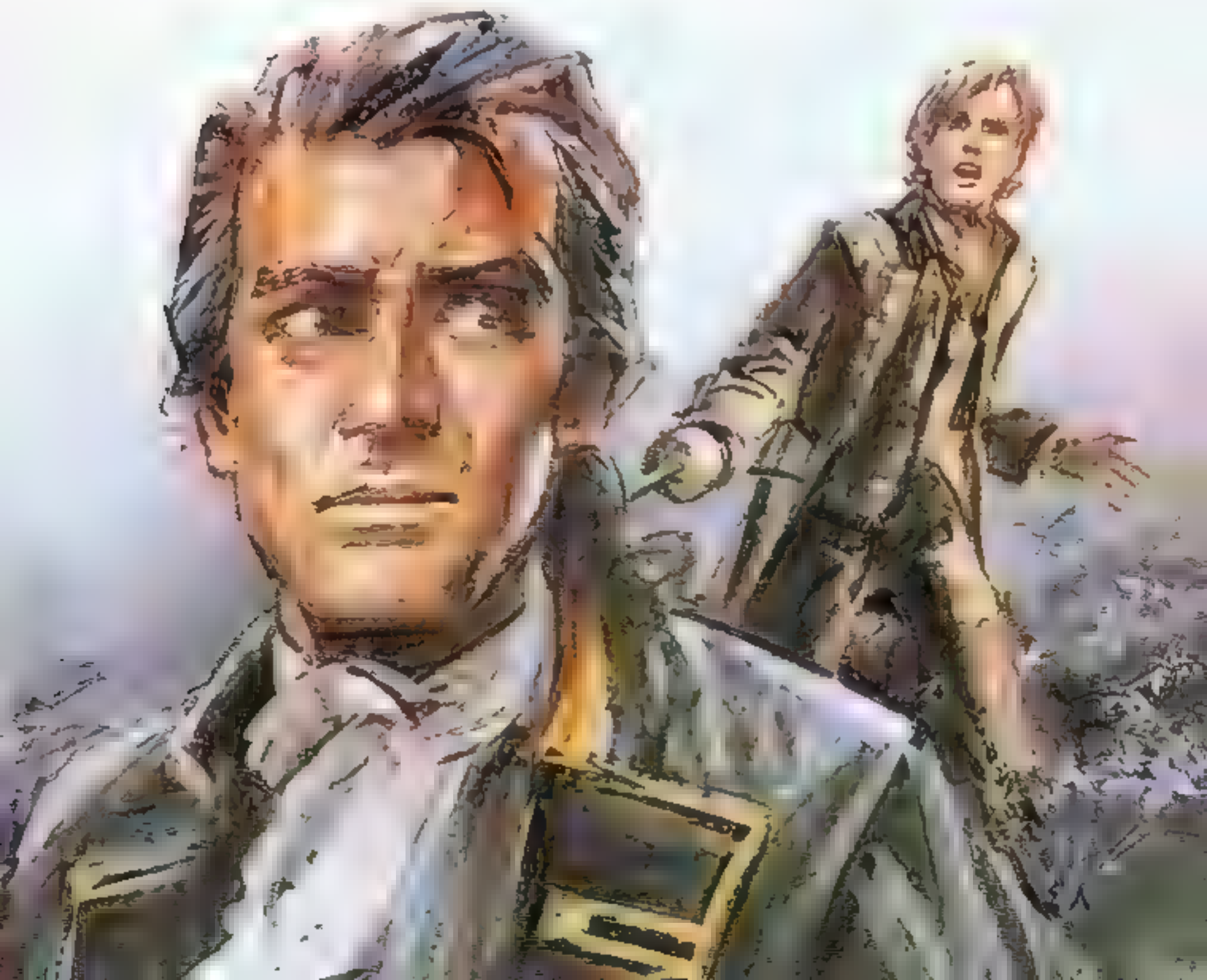


قُتِ : « أَنْتَ أَكْثَرُ مِنِّي سِنًا . يَا سَيِّدُ سَيَّوَارْتِ ، وَحَقُّكَ أَنْ تَكُونَ قَدْ تَعَلَّمْتَ مُرْعَاةَ
مَشَاعِيرِ الْآخَرِينَ كَمَا يُرَاعِي الْآخَرُونَ مَشَاعِيرَكَ . »

وَكَانَ رَدُّهُ عَلَى ذَلِكَ أَنْ كَشَفَ عَنْ أَسْنَانِهِ وَرَاحَ يُصَفِّرُ لَحْنًا اسْتَكْنَدِيًّا . ثُمَّ قَالَ
بِافْتِخَارٍ :

« أَمْ مِنْ آلِ سَيَّوَارْتِ ؟ »

أَجَبَتْ : « نَعَمْ . أَعْرِفُ أَنَّكَ تَحْمِلُ اسْمَ تِلْكَ الْأُسْرَةِ الْمَالِكَةِ . وَأَنْتَ لَا تَفْتُ تَذَكَّرُنِي
بِهِدِهِ الْحَقِيقَةِ لَكِنِّي لَمْ أَقَابِلْ أَحَدًا مِنْ آلِ سَيَّوَارْتِ فِي اسْتَكْنَدَا إِلَّا وَكَانَ حَنِمًا وَقَدِيرًا . »
وَقَفَ نَسْ مَهْوتًا وَكَأَنَّهُ لَا يُصَدِّقُ مَا يَسْمَعُ ، وَقَالَ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ ، وَقَدْ شَدَّ عَلَى
أَسْنَانِهِ « تَذَرِكُ أَنَّكَ تُهَيِّبِي ؟ »



كَانَ غَضَيِّ يَتَعَاطَمُ . فَقُتِلَ : « وَفَوْقَ ذَلِكَ . فَإِنَّ الرِّعَاءَ الَّذِينَ تَتَحَدَّثُ عَنْهُمْ قَدْ وَجَّهوكُمْ فِي سَاحَةِ الْقِتَالِ وَقَهَرَكُم . أَلَا تَنْظُرُ أَنَّ عَلَيَّ أَنْ تَرَاهُمْ لِذَلِكَ خَيْرًا مِنْكُمْ . »

قَالَ أَلَنْ ، وَقَدْ احْتَفَنَ وَجْهَهُ غَضَبًا : « لَنْ أُسَامِحَكَ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ . »
أَجَبَتْ . وَأَنَا أَمْتَشِقُ سَنِي : « وَلَا أَنَا أُسَامِحُ . »

وَقَفَ أَلَنْ جَامِدًا أَمَامِي وَقَدْ بَدَأَ عَلَى وَجْهِهِ الذُّهُولُ . ثُمَّ صَاحَ :
« يَا رُوَيْنَ ، أَنْتَ مَحْنُونٌ ؟ لَا أَسْتَطِيعُ مُبَارَزَتَكَ أَكُونُ كَأَنِّي أُرْتَكِبُ جَرِيمَةَ قَتْلِ ! »
أَجَبَتْ : « لَقَدْ أَهْتَنِي . »

جَرَّدَ أَلَنْ سَيْفَهُ بِطُءٍ ثُمَّ رَمَاهُ جَانِبًا . وَهُوَ يَصْبِحُ : « لَا ! لَا ! لَا أَقْدِرُ ! »
فَجَاءَهُ زَائِلُنِي غَضَيِّ . وَأَحْسَنْتُ بِحَوْءٍ فِي قَلْبِي وَسَائِرِ أُنْحَاءِ جَسَدِي . وَشَعَرْتُ بِشَيْءٍ يَقِفُ فِي حَنِيَّ وَبِكَادُ يَخْتَفِي . وَبَدِمْتُ عَلَى مَا صَدَرَ مِنِّي مِنْ كَلِمَاتٍ قَاسِيَةٍ . تَذَكَّرْتُ شَجَاعَتَهُ وَعَظْفَهُ عَلَيَّ فِي الْأَوْقَاتِ الْعَصِيَّةِ . فَجَاءَهُ حَدَّثَنِي قُوِي . وَلَمْ أَعُدْ أَقْوَى عَلَى الْوُقُوفِ . وَأَحْسَنْتُ بِالْحُمَى تَشْتَعِلُ فِي جَسَدِي .

قُلْتُ نُصُوتُ هَادِيٍّ : « يَا أَلَنْ . إِنْ لَمْ تُسَاعِدْنِي . فَسَأَمُوتُ هَذَا »
بَدَأَ الذُّعْرُ عَلَى وَجْهِهِ . وَسَأَلَ : « تَقْدِيرُ عَلَى الْمَشْيِ ؟ »

أَجَبْتُ : « لَا . فَسَقَايَ وَاهِئَانِ . وَفِي حَنِيَّ أَلَمْ مَرُوعٌ إِذَا مِتُّ سَامِعْنِي ، يَا أَلَنْ . فَبَنِي أَحَبُّكَ دَائِمًا ، حَتَّى فِي أَوْقَاتِ غَضَيِّ . »

أَسْرَعَ أَلَنْ نَحْوِي بِمُسْكُنِي إِثْلًا أَسْقَطَ وَصَاحَ بِفَرْعٍ : « لَا تَقُلْ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ . يَا رُوَيْنَ . أَنْ غَيْبِي قَلِيلٌ الْإِذْرَالُ . فَقَدْ نَسِيتُ نَكَاحَ قَتَى . وَلَمْ أُلَاحِظْ أَنَّ الْإِرْهَاقَ وَالْفَنَقَ وَالْحُمَى تَكَادُ تَقْتُلُنِي . أَرْجُوكَ سَامِعْنِي . »

أَجَبْتُ . « فَتَسَّرَ هَذَا الْأَمْرَ . يَا أَلَنْ لِمَ تَعْطِفُ عَلَيَّ هَذَا الْعَطْفَ كُلَّهُ ؟ »
أَجَابَ مُبْتَسِمًا : « لَا أَعْرِفُ . فَعَلًّا . أَحَبُّكَ مِنْ قَبْلِ لِيَاكَ لَا تُحَاصِمُ . وَالْآنَ أَحَبُّكَ أَكْثَرَ ! »

دَحَلْنَا بَيْتًا قَرِيبًا فَاسْتَقْبَلَ الْبَلْعَ . قَفَّتْ هُنَاكَ أُنَامًا إِلَى أَنْ اسْتَعْدَدْتُ حَافَةً
مِنْ عَامِيَّتِي ثُمَّ انْطَلَقْتُ ، فِي أَوَاحِرِ شَهْرِ آبِ (عَسْطُس) بِحُوِّ مَدِينَةِ شَتِيرْلَعِ وَبَعْدَ مَسِيرَةِ
ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَصَلْتُ إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ التَّارِيخِيَّةِ الْمَعْلُومَةِ بِقَلْعَتِهَا الْمَشْهُورَةِ .

قَالَ لِي أَسْ : « هَا أَنْتَ لَآنَ فِي دِيَارِكَ ثَابِتَةً . إِذَا تَمَكَّنَا مِنْ غُورِ نَهْرِ هَوْرْتِ هَذَا
النَّهْرِ الْعَرِيسِ فَسَكُونُ فِي أَمَانٍ » .

وَلَكِنْ أَنْ تَحْتَمِلَ ، لِذَلِكَ ، حَبْنَةُ الْأَمَلِ الْمَرِيرَةِ الَّتِي حَلَّتْ بِنَا عِنْدَمَا رَأَيْنَا جِسْرَ الْعُبُورِ
الْوَحِيدَ تَحْتَ حِرَاسَةٍ مُشَدَّدَةٍ ! لَمْ يَكُنْ مَعَنَا نَقُودٌ ، وَلَا كَانَ يَفْصِلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَرِّ الْأَمَانِ
سَبْوِي بِضَفْرِ مِيلٍ مِنَ الْمَاءِ .

جِئْتُ أَنْزِلَ قَهْرًا فَبَعْدَ الْأَهْوَالِ الَّتِي اخْتَرَاهَا يُسْبَغُ عِنْدَ الْآنَ بَرُّ الْأَمَانِ ! أَيُّ عَذَابٍ
هَذَا ؟

غَيْرَ أَنَّ أَسْ لَمْ يَقْبَلْ أَنْ يَسْرُبَ الصَّغْفَرُ إِلَى قَلْبِهِ . وَقَادِي شَرْقًا صَوَّبَ السَّحَرُ . وَقَالَ
لِي بِصَوْتٍ حَارِمٍ :

« هَلْ لَاحَظْتَ الْحَسَنَاءَ الَّتِي تَقُومُ عَلَى خِدْمَتِنَا ؟ »

أَجَبْتُ أَنِّي لَاحَظْتُهَا وَأَنِّي أَرَاهَا جَمِيلَةً .

قَالَ لِي ، عَظِيمُ بَيْتِكَ إِنِّي اسْتَطَعْتُ كَسْبَ عَطْفِهَا فَعِذْ تَرَوْدًا بِقَارِبِ أَنْتِ عَلِيلٌ
وَهَذَا نَادٍ عَلَى وَجْهِكَ . لَكِنْ نَظَاهَرُ أَنَّكَ أَكْثَرُ اعْتِلَالًا مِنْ أَنْ تَعِينَهُ فَعَلًا . »

« إِنْ لَمْ تَسْمَكِي مِنْ غُورِ لَحْشَرِ فَعَلَيْنَا أَنْ نَحْرُبَ غُورَ مَصْبِ النَّهْرِ »
لَمْ أَقْبَعْ بِخَذَوِي قَتْرَاحَهُ ، وَقَفْتُ . « لَنَحْرُ عِنْدَ الْمَصْبِ نَعْرِضُ مِنَ النَّهْرِ بِنَفْسِهِ .
فَكَيْفَ سَتَسْمَكِي مِنَ الْعُبُورِ وَلَيْسَ مَعَنَا مَا نَسْتَأْجِرُ بِهِ قَرْنًا ؟ »

أَحَابِ بَاطِشَانِ : « سَأَحْذِ طَرِيقَةً . سَأَحْذِ مِنْ يَغْبِرُ سَا لِمَصْبِ بِقَارِبِهِ وَيَعُودُ بِهِ تَحْتَ
لَابَارَةِ الشُّكُوكِ . »

لَمْ أَغْرِفْ كَيْفَ سَيَفْعَلُ حُطْنَةُ . وَصَرَّخْتُ لَهُ بِعَدَمِ الزُّبْدِ حَيٍّ ، لَكِنَّهُ بَقِيَ عَلَى
اِطْمَئِنَانِهِ وَهَكَذَا مَشَيْتُ طَوْلَ اللَّيْلِ فِي الْإِتِّجَاهِ الْمَقْتَرَحِ .

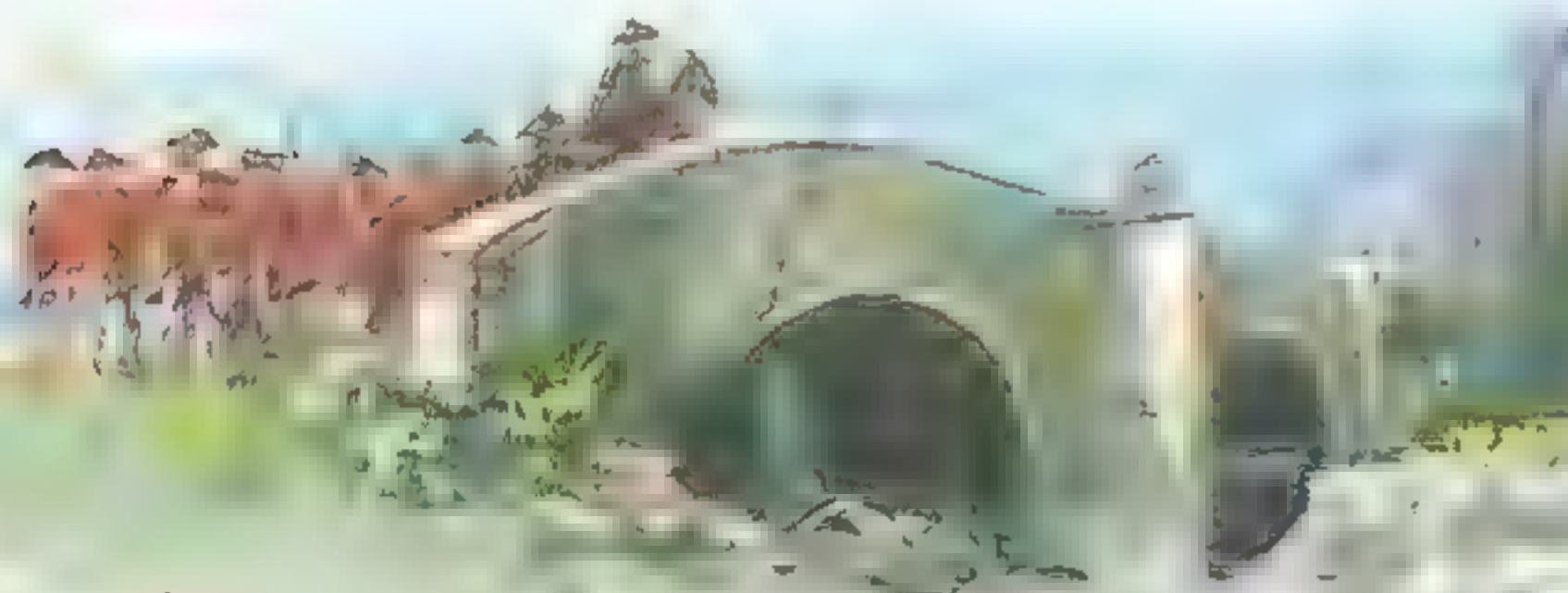
وَصَلْنَا فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الثَّانِي إِلَى تَرْلِ بِوِاجِدَةِ مَدِينَةِ كَوْبَرْفَرْيَ عَلَى الصَّفَةِ الْأُخْرَى
لِنَهَرٍ ، حَيْثُ كُنْتُ أَسْمَى لِلْوُصُولِ . فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ كَانِ يَعِيشُ السُّعْدِيُّ السَّيِّدُ رُكْبَلَرُ
الَّذِي كُنْتُ أَتَوِي طَلَبَ مُسَاعَدَتِهِ فِي مُحَاوَلَتِي اسْتِعَادَةَ مِيرَانِي .

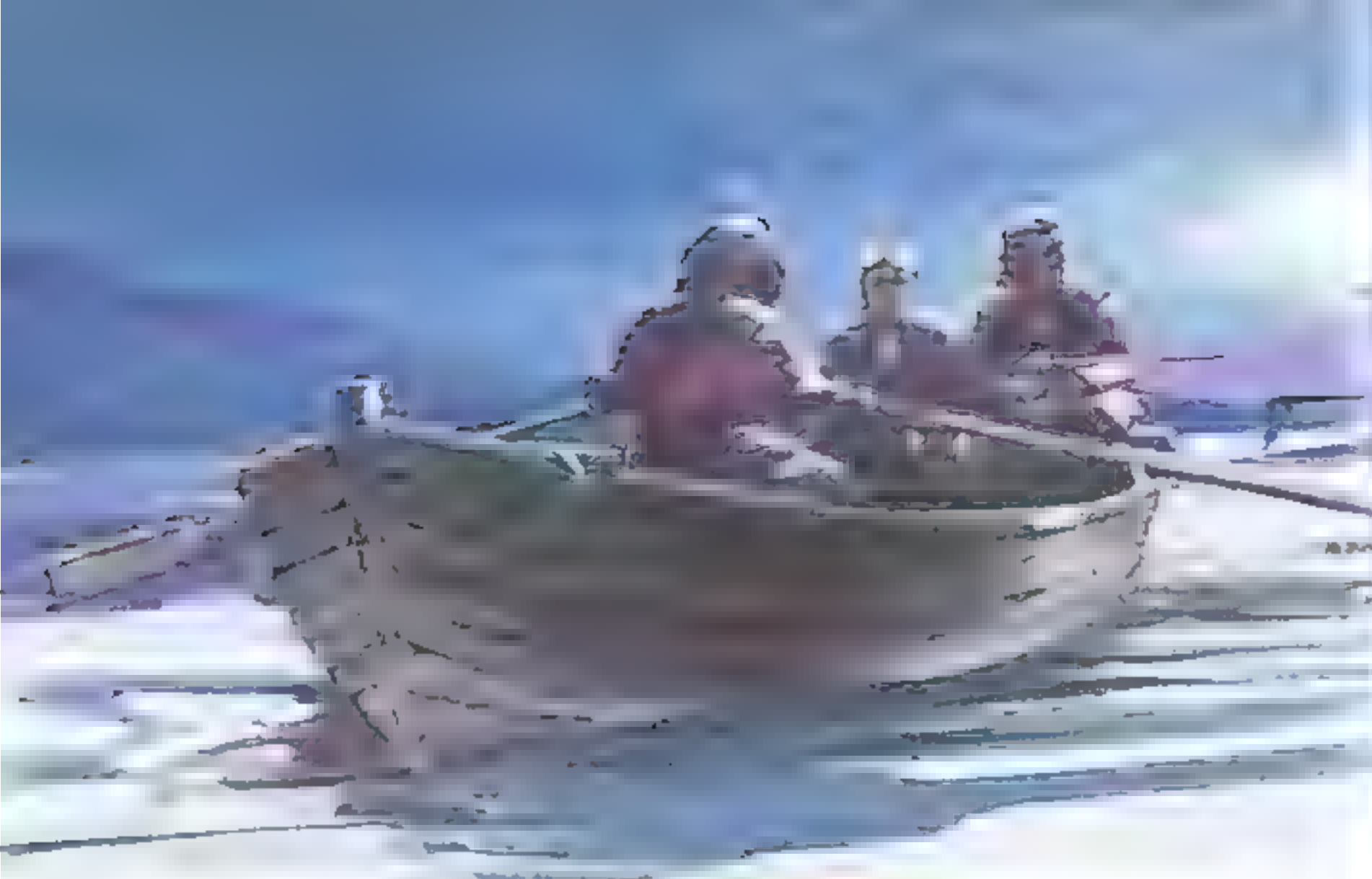
قَامَتْ عَلَى خِدْمَتِنَا فِي التَّرْلِ صَبِيَّةٌ حَسَنَاءُ . وَرَأَيْتُ أَلِيَّ بِخَلْسٍ صَامِتًا وَقَدْ اسْتَعْرَقَ فِي
التَّفَكُّيرِ . أَخِيرًا تَكَلَّمَ فَقَالَ :

« هَلْ لَاحَظْتَ الْحَسَنَاءَ الَّتِي تَقُومُ عَلَى خِدْمَتِنَا ؟ »

أَجَبْتُ أَنِّي لَاحَظْتُهَا وَأَنِّي أَرَاهَا جَمِيلَةً .

قَالَ لِي ، عَظِيمُ بَيْتِكَ إِنِّي اسْتَطَعْتُ كَسْبَ عَطْفِهَا فَعِذْ تَرَوْدًا بِقَارِبِ أَنْتِ عَلِيلٌ
وَهَذَا نَادٍ عَلَى وَجْهِكَ . لَكِنْ نَظَاهَرُ أَنَّكَ أَكْثَرُ اعْتِلَالًا مِنْ أَنْ تَعِينَهُ فَعَلًا . »





لَمْ يَحْذُ بَعْدَ ذَلِكَ ضِعْوَةٌ كَبِيرَةٌ فِي إِقْدَاعِ الصَّبِيَّةِ مُسَاعِدَتِهَا ، وَحَصَّةٌ عِنْدَمَا دَكَّرَتْ
تِي لَمْ أَرْتَكِبْ خَرْمًا ، وَتِي أَسْعَى لِمُقَانِنَةِ السَّيِّدِ رُنْكِيلِ الَّذِي تَبَيَّنَ لَهَا أَنَّهَا تَعْرِفُهُ
أَشَارَتْ عَلَيْنَا بِالْإِنْتِظَارِ فِي عِدَّةٍ قَرِيبَةٍ حَتَّى حَادِيَةَ عَشْرَةِ نَيْلًا ، رَيْثَمَا تُفَكِّرُ فِي وَسِيلَةِ
تُسَاعِدُنَا بِهَا ، وَوَعَدَتْ بِالْعُودَةِ إِلَيْنَا

أَنْتَظِرُنَا ، لَكِنَّا كُنَّا غَيْرَ وَاثِقِينَ مِنْ أَنَّهَا سَتَبُورِعُنَا وَكَانَتْ ، لِخُشْيِ الْخَطِّ ، وَفِيَّةٌ
وَشَجَاعَةٌ فَهَذَا عَادَتْ إِلَيْنَا ، وَنَقَلْنَا مَعَهَا عَمْرَ النَّهْرِ فِي قَارِبٍ اسْتَعَارْتُهُ مِنْ حِيرَابٍ لَهَا
اقْتَرَفْنَا ، أَلَى وَأَمَّا ، فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ اتَّأَلِي حَارِجَ مَدِينَةِ كَوَيْرُفَرِي ، أَنَا تَوَحَّهْتُ إِلَى
مَرْلِو رُنْكِيلِ بَيْنَمَا نَقِي أَلَى مُحْتَمِلًا رَيْثَمَا أَعُودُ إِلَيْهِ

وَبَيْنَا أَنَا أَعْتَرُ شُورَعَ الْمَدِينَةِ لَطِيفَةَ الْهَادِقَةِ رَاحَتْ صُورُ الْمُعَامَرَاتِ الَّتِي عِشْتُهَا تَتَوَالَى
عَلَى مُحِيطَتِي وَبَدَتْ تِلْكَ الْمُعَامَرَاتُ فِي تَوَلِيهَا وَعَشِيرَتِهَا وَمَحَاطِرِهَا أَشْبَهَ بِالْحَيَالِ ، وَأَذْرَكْتُ
أَيَّ قَدْ لَا أَحْذُ إِنْسَانًا عَاقِلًا يُصَدِّقُنِي أَنَّ إِنِّي عِنْدَمَا نَظَرْتُ إِلَى ثِيَابِي الرَّثِيَّةِ الْمَمْرُقَةِ
أَذْرَكْتُ أَنِّي قَدْ لَا أَحْذُ إِنْسَانًا عَاقِلًا يَقُولُ حَتَّى أَن يَدْخُلَنِي بَيْتُهُ .

رَضِيتُ أَوَّلَ الْأَمْرِ الْقِيَامَ بِهَذَا الدَّوْرِ ، فَقَدْ نَدَا لِي ذَلِكَ مُسَيِّبًا ، لَكِنَّ أَلَى رَاحَ بِبَالِغٍ
أَمَامَ الصَّبِيَّةِ فِي وَضْعٍ اِغْتِلَالِي وَسُوءِ حَالِي ، حَتَّى أَثَارَ عَصِيٍّ مِنْ هَذَا الشَّكْلِ مِنْ لَعْنَةٍ
أَحِيرًا تَوَسَّلْتُ إِلَى أَلَى لِيَكْفَ عَنْ مُتَالَعَتِهِ ، لَكِنَّ صَوْتِي حَاءَ ، فِي عَمْرَةٍ اِنْفَعَالِي ،
مُحْتَفِّ ضَعِيفًا ، سَحَبَتْ بَدَوْتُ عَلِيلًا فَعَلًا بَيْنَمَا حَاولَ صَدِيقِي أَن يَصُورَنِي
تَحَوُّلَ اِهْتِمَامِ الصَّبِيَّةِ الْآنَ إِلَى كِتَابٍ ، وَهَتَفَتْ أَحِيرًا فِي حَرْبٍ ، أَلَيْسَ لَهُ أَهْلٌ
وَأَصْحَابٌ يَتَوَلَّوْنَ رِعَايَتَهُ ؟

أَسْرَعَ أَكْرَ يَقُولُ بَدَاهَا ، «بَصُفْ الْوُصُولُ إِلَى أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ» .

قَالَتْ الْفَتَاةُ ، وَقَدْ وَقَعَتْ فِي الْفَخِّ : «لَكِنَّ لِمَاذَا ؟ وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ ؟»

لَمْ يَقُلْ أَلَى شَيْئًا لَكِنَّ رَاحَ يُصَمِّرُ نَحْوًا مِنْ أَلْحَادِ الْعَصَاةِ الْاسْكُتَلَنْدِيِّينَ فَضَعِيفَتِ
الصَّبِيَّةُ ، وَقَدْ تَحَوَّلَ اِكْتِسَابُهَا إِلَى هَنْعٍ ، خَوْفًا عَلَيَّ مِمَّا يُصِيبُ الْعَصَاةَ مِنْ مَصِيرٍ ،
وَهَتَفَتْ قَائِلَةً : «صَه ؟» وَكَبَّرَ أَلَى الْهَاجِسَ الَّذِي أَفْرَعَهَا بِأَنَّ مَرَّ بِحَاقَةِ كَفِّهِ أَمَامَ عَفْهِ .
وَكَاَنَّهُ يُرِيدُ أَن يَصُورَ لَهَا الْمَصِيرَ الَّذِي يَنْتَظِرُنِي إِذَا مَا أَلْقَيْتُ الْقَبْضَ عَلَيَّ .



وَقَفْتُ أَمَامَ بَيْتِ الْمُحَمِّي تَهْشِي شُكُوكُ. وَلَعَلِّي لَمْ أَكُنْ لِأَحَدٍ لَشَّاعَةً لِمُحَاوَلَةِ
الدُّخُولِ لَوْ لَمْ يَنْفَتِحْ لِبَابُ فِي تِلْكَ الْمَحْطَةِ كَشِيفًا عَنْ وَجْهِ عَجُورٍ وَدِيعٍ .
لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ الرَّحْلَ . وَلَا كَانَ هُوَ يَعْرِفُنِي . لَكِنَّهُ وَقَدْ قَرَأَ الْبُؤْسَ الْمَسْقُوشَ عَلَى
وَجْهِهِ . وَرَأَى يَدَيَّ مُمَرَّقَةً . قَرَّبَ مِنِّي حُصَوَّةً وَمَسَّاهِي عَنِ اسْمِي .
أَحَبَّبْتُ عَلَى الْعُورِ . «رُوسِ فُورِ آلِ شُورِ . يَا سَيِّدِي »
أَجْتَمَعَ الرَّحْلُ مِنْ حَوْبِي . وَرَدَّدَ بِصَوْتٍ دَاهِلٍ : «رُوسِ فُورِ !» ثُمَّ تَمَالَكَ نَفْسُهُ وَنَظَرَ
إِلَى نِصْرَةٍ ثَابِقَةٍ وَقَالَ : «مِنْ أَيِّ حِثٍّ . يَا سَيِّدُ فُورِ ؟»
أَجَبْتُ : «حِثٌّ مِنْ مَكَانٍ كَثِيرَةٍ عَرَبِيَّةٍ . يَا سَيِّدِي وَسَتُطِيعُ نَنْ حَدَّثُكَ بِالْكَثِيرِ لَوْ
لَمْ تَكُنْ فِي مِثْرِ هَذَا الْمَكَانِ لَعَدَمَ .»

كُنْتُ أَذْرَكْتُ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي بَرَزَ مُامِي هُوَ السَّيِّدُ رُكْبَرٌ نَفْسُهُ وَقَدْ أَدْخَلَنِي
الْمُحَامِي ، بَعْدَ سَمَاعِ جَوَابِي ، إِلَى مَتَرِلِهِ ، وَقَادَنِي إِلَى غُرْفَةِ الْمَكْتَبِ . وَهَذَا جَلَسَ فِي
كُرْسِيِّهِ وَدَعَانِي بِأَدَبٍ إِلَى الْجُلُوسِ . ثُمَّ بَدَرَنِي بِنَهْجَةٍ رَحِلِ الْأَعْمَالِ قَائِلًا .

«وَالآنَ ، يَا سَيِّدُ فُورَ ، مَا لَدِي تُرِيدُهُ؟»

إِحْمَرَّ وَجْهِي ارْتِيَاكًا وَعَضَضْتُ لِسَانِي ، ثُمَّ سُرَعْتُ أَقُولُ : «عَنْقِدُ أَنِّي صَاحِبُ
الْحَقِّ فِي قَصْرِ آلِ شُورَ وَأَرْضِيهِمْ .»

لَمْ يَبْدُ عَلَى الْمُحَامِي أَنَّهُ فُوجِي بِمَا قُلْتُهُ مُنْغَلًا . بَدَأَ كَتَفِي بِأَنْ نَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ :
«أَكْمِلْ كَلَامَكَ .»

عَرَفْتُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ . وَأَنَا أَمَامَ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ . أَنَّ لَا مَنَ لِي إِلَّا إِذَا وَضَعْتُ يَدَيَّ
الْكَامِيَةَ فِي ذَلِكَ الرَّحْلِ . فَعَقَدْتُ الْعَزْمَ عَلَى إِخْبَارِهِ بِالْحَقِيقَةِ كُنْهِ . وَرَوَيْتُ لَهُ مُعَامِرَاتِي
مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا .

لَمْ يَكُنْ . كَمُحَامٍ ، قَدِيرًا عَلَى أَنْ يَسْمَعَ بِأَمْرِ الصَّدَاقَةِ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ خَارِجٍ عَلَى
الْقَانُونِ . لَكِنَّهُ حَذَرَ حَلًّا وَسَطًا . فَتَطَاهَرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ اسْمَ أَلِي عَلَى نَحْوِ سَلِيمٍ وَسَمَاءُ
السَّيِّدِ طَوْمُسُنْ .

رَاحَ السَّيِّدُ رُكْبَرٌ يَسْأَلُنِي عَنْ بَعْضِ التَّفَصِيلِ فِي مُعَامِرَاتِي وَيُذَوِّنُ إِحْدَابَاتِي فِي دَفْتَرِهِ .
ثُمَّ قَامَ يُقَارِنُ مَا قُلْتُ بِأَوْرَاقٍ كَانَتْ مَحْمُوعَةً لَدَيْهِ .

أَحِيرًا ابْتَسَمَ وَقَالَ : «رِوَايَتُكَ تُوَافِقُ الْحَقِيقَةَ الَّتِي تَجَمَّعَتْ لَدَيَّ يَا سَيِّدُ فُورَ لَقَدْ
وَاحَهْتَ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَحَاطِيرِ . وَتَصَرَّفْتَ . فِي غَالِبِ الْأَحْيَاءِ . التَّصَرُّفَ لِحَسَنٍ . إِنَّ
السَّيِّدَ طَوْمُسُنْ رَجُلٌ رَفِيعُ الْمَرَايَا لَكِنَّهُ مُتَهَوِّرٌ . أَخْلَصْتَ لَهُ وَأَخْلَصَ لَكَ . وَالْإِخْلَاصُ
صِفَةُ حَمِيدَةٍ . ظُنُّ أَنَّ تِلْكَ آيَةٌ وَأَنْتَ . أَنْتَ تُوَشِّحُ لَآنَ عَلَى الْإِخْلَاصِ مِنْ مَدْعِيكَ .»

أَمَرَ لِي عِنْدَئِذٍ بِمَوَادِّ الْإِسْتِخْصَامِ وَأَعْطَانِي بَعْضَ ثِيَابِ إِنِّي مِنْ أَثْبَاتِهِ . وَدَعَانِي لِتَسَاوُلِ
الْعِشَاءِ مَعَهُ . ثُمَّ تَرَكَنِي وَمَضَى .

حكى لي السيد رنكيلر على العشاء حكاية الإرث الغريبة التي كنت أسمى لكشفها .
قال :

«بدأت الحكاية بعد قصة غرام . فقد كان عمك إبنزر في صباه شاباً وسيقاً نبيلًا
وكان شجاعاً إلى حد التهور . وقد التحق في العام ١٧١٥ بالكثيرين على سلطة ملك
الإنكليز . لكن أباك الرصين العاقل لحق به وأعادته إلى المنزل .

«ثم وقع الأخوان في غرام صبية واحدة . وكان عمك . الأصغر بين الأخوين . قد
عاش طفولة مدللة بعثت في نفسه لغور . وقد ظن لذلك أن من اليسير عليه الفوز بقلب
الصبية التي أحب . غير أن لصبية اختارت أباك . فترك ذلك في قلب عمك حرجاً عميقاً
وأحس أن كرامته طعنت .

«امتص جودة وراح يطوف في المناطق المجاورة يروي قصته للناس ويرغمهم
شقيقه خدعه .

«وكان أولك . يا سيد رويس . رجلاً عطف صادقاً شهيداً . وعندما رأى عذاب أخيه
تخلى له عن الفتاة التي يحب . لكن الفتاة نفسها لم تكن تحب إبنزر . وقد غضبها
تصرف أبك ورفضت الرجوع معه .

«شيب بين الأخوين بعد ذلك نزاع طويل انتهى إلى اتفاق عريب . لم يأخذ فيه أي
منهم نصيحة المحامي . وقضى الاتفاق بأن يتزوج أولك الفتاة التي يحب ويأخذ عمك
إبنزر قصر آل شور وراضيتهم .

«وكان من نتيجة ذلك أن عاش أولك وأمك حياة فقيرة . بينما ظل عمك يحس أنه
مطلوب . ويريد ذلك الشعور مرارة وقسوة يوماً بعد يوم . وكان من نتيجة ما تبس منه
طباع سيئة أن كرهه المرءعون في أراضيه وتحلى عنه ضيقه . وقد لمست أنت نفسك
شبيهاً من أبايته وجشعه .

قلت : «كيف ترى وضعي . يا سيدي . والحال على ما ذكرت» هلى تغير قصة
لحبتك . وما تأتي عنها من نتائج . حتى في أن أرت ممتلكات آل شور؟»

أَجَابَ السَّيِّدُ رَنْكِيلَرُ : «لَمَّا كَانَ ذَلِكَ لِاتِّفَاقٍ لَمْ يُدَوَّنْ فِي وَثِيقَةٍ قَانُونِيَّةٍ . فَاتَّ لَا تَرَالُ فِي نَظَرِ الْقَانُونِ الْوَرِيثِ الشَّرْعِيِّ . إِلَّا أَنَّ عَمَّكَ لَنْ يَتَحَلَّى لَكَ عَنْ حَقِّكَ بِسُهُوَةٍ . وَلَيْسَ هُناكَ مَا يُثَبِّتُ نَّ عَمَّكَ سَعَى إِلَى اخْتِطَافِكَ . كَمَا أَنَّ صَدَاقَتَكَ لِسَيِّدِ طَوْمَسُ لَنْ تَرُوقَ فِي عَيْنِ السُّطَّةِ .

أَنْصَحُكَ لِذَلِكَ أَنَّ تَتْرَكَ عَمَّكَ يُقِيمُ فِي قَصْرِ آلِ شُوزِ عَلَى أَنَّ تَجْعَلَهُ يُشْرِكُكَ فِي غَلَّةِ الْأَرْضِ .»

أَجَبْتُ : «مُوافِقٌ ، لَكِنْ عَيْنًا نَّ نُوَقِّعُهُ فِي قَهْرٍ وَإِلَّا فَلَنْ يُشْرِكَنِي فِي غَلَّةِ الْأَرْضِ أَبَدًا . عَلَيْنَا أَنْ نَجْعَلَهُ يَعْتَرِفُ بِذَنْبِهِ «مَامَ شُهُودٍ .»



أَعَدَدْتُ خُطَّةً لِلْإِجْتِمَاعِ بِعَمِّي ، لَكِنَّهَا كَانَتْ تَصْطَبُ لِقَاءَ بَيْنَ لَسِيدِ رَنْكِيَلَرِ وَأَكْنَ بَرْكِ .
وَهُوَ مُرٌّ لَمْ يُوفِقْ عَلَيْهِ الْمُحَامِي إِلَّا بَعْدَ تَرَدُّدٍ شَدِيدٍ .

إِتَّقَيْنَا أَلَّنَ فِي مَكَانِ احْتِدَائِهِ . وَدَرَسَ هُوَ وَالسَّيِّدُ رَنْكِيَلَرِ الْخُطَّةَ ، وَأُبْدَى اسْتِعْدَادَهُ
لِمُسَاعَدَتِي . وَهَكَذَا انْطَلَقْنَا جَمِيعًا صَوْبَ قَضَرِ آتِ شُوز . بَعْدَ أَنْ اصْطَلَحْنَا مَعَنَا طُورَنْسَ ،
كَاتِبَ الْمُحَامِي ، لِيَكُونَ شَاهِدًا آخَرَ .

كَانَتْ لَيْلَةٌ دَافِئَةٌ حَالِكَةٌ السَّوَادِ ، يَهْبُ هَوَاؤُهَا نَسِيمًا يُحَرِّكُ أَوْرَاقَ لَشَجَرِ الْمَسْقِصَةِ عَلَى
الْأَرْضِ . زَحَفْنَا نَحْوَ لَمْقَضِرِ الْمُجَلَّلِ بِالسَّوَادِ وَاجْتَبَأْنَا فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ . ثُمَّ مَشَى أَلَّنَ
إِلَى الْبَوَابَةِ الْأَمَامِيَّةِ وَقَرَعَهَا قَرَعًا شَدِيدًا .

رَأَيْتُ بَعْدَ حِينٍ نَافِذَةَ الطَّائِفِ الْأَوَّلِ تُفْتَحُ بِهَدْوٍ . وَرُحْتُ أَسْأَلُ مُبْتَسِمًا كَيْفَ
سَيَنْصَرِّفُ أَلَّنَ عِنْدَمَا يَرَى بُدْقِيَّةَ عَمِّي مُصَوَّبَةً إِيَّ رَأْسِهِ .



جاء صوت عمي الأَجَشُّ النَارِدُ قَائِلًا : « ما هذا ؟ ما تريد في هذا الوقت من الليل ؟ »
تراحع أَلَن حُطْوَةً ونَظَرَ إلى أَعلى . وسَأَلَ « أهذا أنت . يا سيد هور ؟ أعد هدية البُدُقِيَّةَ
العتيقة علك . فقد تمحَرُ ! »

قال عمي بصوتٍ عاضِبٍ : « ما جاء بك إلى هنا ؟ من أنت ؟ »
أجاب أَلَن : « اسمي لا يعنيك حيثُ في أمرٍ يخصك أنت . »
سأل عمي قَائِلًا : « أيُّ أمرٍ هذا الذي تتحدث عنه ؟ »
أجاب أَلَن : « روبن . »

سكت عمي برهة . ثم جاء صوته مُرتعِشًا يقول : « لعلَّ من الأفضل أن تدخل »
وبدا أَلَن كأنه استاء من تصرف عمي غير اللائقِ استياءً بالغا . فقال إنه لن يتزحزح
عن الباب .

اختفى عمي من نافذة الطابق الأول ليظهر بعد قليل عند باب ثم جلس على
درجة من درجات السلم . والبُدُقِيَّةُ لا تراه بين يديه المرتجفتين
قال : « والآن . هات ما عندك »

شرع أَلَن يروي ما عنده . فقال : « منذ زمنٍ غير بعيد . عرقت سفينة قريبا من
جزيرة مل حيثُ أعيش . وفي اليوم الثاني وحده قريبا لي ولدتُ على الشاطئ . كان بين
الموت والحياة . وقد رأى قريبي وأصدقاء له أن ذلك لو لد تغور الصَّعِر طائش لا يكثرث
بالقانون فقلوه إلى قنعة قديمة . ثم كَشَفُوا أنه من أخيك . واحتجزوه رهينة ليصوبوا منك
فدية . إذا أنت لم تدفع فلن ترى ابن أخيك أبدا . »

جاء صوت عمي نطينا متأنيا يقول : « الأمر لا يعني . لم يكن ولدًا صالحا . »
قال أَلَن : « لا شك أنك تتظاهر بعدم الاكتراث . فهمت . أنت تحول أن تقل
من المبلغ . »

أَسْرَعَ إِبْنِزَر يَقُولُ : « لَا ، الْوَلَدُ لَا يَهْمُنِي . لَنْ أَدْفَعَ شَيْئًا . إِفْعَلُوا بِرِ مَا تَشَاوُونَ . »
أَجَابَ أَلْ . « أَهْلُ هَذِهِ الدَّيْرِ لَنْ يُغْنِيَهُمْ تَصَرُّفُكَ عِنْدَمَا يَعُودُ رُوَيْنُ وَيُحَدِّثُهُمْ عَنْ
جَشَعِثَ . »

أَسْرَعَ عَمِّي يَقُولُ بِحِدَّةٍ : « كَيْفَ ؟ »

تَابَعَ أَلْ يَقُولُ : « سَيَحْتَجِرُ صَدِيقِي الْفَتَى مَا دَامُوا يَصْطَمَعُونَ بِمَلَأِرِ . فِذَا عَرَفُوا نَهْمُ
لَنْ يَخْضُلُوا مِنْكَ عَلَى شَيْءٍ فَيُضْطِقُونَ سَرَاحَهُ »

قَالَ عَمِّي بِصَوْتٍ عَصِيبٍ : « لَا بُعْجِبَنِي ذَلِكَ . »

عَرَفَ أَلْ أَنَّ عَمِّي وَقَعَ فِي لَمْعٍ . فَقَدْ بَصُوتٍ مَكِيرٍ : « نَتَّ لَا تُرِيدُ الْفَتَى وَمَا
حَاجَّتُنَا نَحْنُ إِلَيْهِ » هِيَ لَآنَ ، كَمْ تَدْفَعُ ؟ »

سَكَتَ عَمِّي مُرْهَةً ثُمَّ قَالَ : « كَمْ تُرِيدُونَ ؟ »

قَالَ أَلْ : « بِنَ احْتِحَازَةٍ كَثْرًا كَثْفَةً مِنْ قَلْبِهِ . »

زَعَقَ عَمِّي : « كَثْرًا كَثْفَةً ؟ عَلَى كُلِّ حَالٍ . لَا بُدَّ مِنْ تَأْسٍ مِنْهُ بُدًّا . سَأَدْفَعُ . فَهُوَ .
مَهْمَا يَكُنِ الْأَمْرُ ، أَنَا أَنُحِي . »

قَالَ أَلْ : « وَالْآنَ . لِنَحْدِثْ عَنْ الْمَبْعَرِ كَمْ دَفَعْتَ لِنُقْبُطَانِ هَوْرٍ بِقَاءِ احْتِطَافِ
رُوَيْنِ ؟ »

إِنْقَضَ عَمِّي وَصَاحَ . « هَذِهِ كِذْبَةٌ . كِدْنَةٌ حَسِيَسَةٌ ! »

قَالَ أَلْ بِلَهْجَةِ الْمُدَافِعِ عَنْ نَفْسِهِ قَائِلًا . « وَمَا دَنِّي إِذْ كَانَ صَدِيقُكَ هَوْرٍ لَا
يَحْفَظُ سِرًّا . »

سَأَلَ عَمِّي فِي حَيْرَةٍ : « هَلْ أُخْبِرُكَ هَوْرٍ ؟ »

قَالَ أَلْ : « أَنَا وَهَوْرٍ نَعْسُ نَعْمًا كُنْتُ خُتْمَ حِينَ كَثْفَتُهُ بِالْمُهْمَةِ . وَالْآنَ قُلْ لِي كَمْ
دَفَعْتَ لَهُ ؟ »

أَجَابَ عَمِّي : « الْحَقِيقَةُ - دَفَعْتُ لَهُ عِشْرِينَ جُنْبَهَا . »

عِنْدَ ذَلِكَ خَرَعَ الْمُحَامِي مِنْ مَخْبِئِهِ . وَقَالَ : « شُكْرًا ، يَا سَيِّدُ طُومُنُسْ فِي هَذَا مَا يَكْفِي . مَسَاءَ الْخَيْرِ ، يَا سَيِّدُ فُور . »

خَرَجْتُ أَنَا أَيْضًا وَقُلْتُ : « مَسَاءَ الْخَيْرِ ، يَا عَمِّي إِسْتِرَر . »

وَقَالَ طُورُنُسْ : « إِنَّهَا لَيْلَةٌ بَدِيعَةٌ ، يَا سَيِّدُ فُور . »



مَسَكَ السَّيِّدُ رَنْكِبِرَ عَمِّي مِنْ ذِرَاعِهِ وَدَخَلَ بِهِ لِمَتْرَلٍ . وَدَحَلْنَا نَحْنُ وَرَاءَهُ . لَمْ يَقُلْ
عَمِّي شَيْئًا فَقَدْ صَعَقَهُ مَا حَدَّثَ . أَمَّا نَحْنُ فَكُنَّا سَعْدًا يَنْجَحُ حَيْثُ . وَلَكِنَّ شَفَقًا عَلَى
الرَّجُلِ الَّذِي أَوْصَلَ نَفْسَهُ إِلَى تِلْكَ الْحَالِ الْمُحَرِّبَةِ .

ثُمَّ أَكَّدْنَا لَهُ بَعْدَ حِينٍ أَنَّ حَالَهُ لَنْ تَكُونَ سَبَبًا أَنْ هُوَ فَعَلَ مَا نَطْلُبُ مِنْهُ . وَقَدْ تَرَكْنَا
عَمِّي وَلِمْحَامِي بَعْدَ ذَلِكَ لِمَا قَشَعْنَا لِفَصِيلِهِ ، أَمَّا أَنَا وَالَّذِينَ فَكَّرْنَا جَلَسْنَا أَمَامَ نَارٍ مُتَّقِدَةٍ نَضَعُ
خُطَّةَ تَيْسَرٍ وَرَدَّ الْآنَ إِلَى فَرَسٍ . لَمْ يَعُدِ الْأَمْرُ صَعْبًا بَعْدَ تَوَافُرِ الْمَالِ .

تَدَارَكَ عَمِّي لِي عَنِ الْقَصْرِ وَالْأَرْضِ وَالْجَانِبِ الْأَكْبَرِ مِنَ الْمَدْخُولِ . وَتَدَ بَائِسًا بِائِسًا
لَا حَوْلَ لَهُ وَلَا قُوَّةَ . أَحِيرًا اسْتَعْدْتُ حَتَّى فِي الْمِيرَاثِ . وَابْتَهَجْتُ مَا وَأَصْدِقُنِي لِمَا نَتَهَتْ
إِلَيْهِ مُعَامَرَتُنَا أَعْظَمَ بِنَهَاجٍ .

عِنْدَمَا أَوَيْتُ إِلَى وَرَشِي تَبَتْ نَبِيَّةٌ كُنْتُ رَحْلًا ثَرِيًّا . هَمَّ الْآنَ وَسَيِّدُ رَنْكِبِرَ
وَطُورَنْسٍ فِي أَسِيرَتِهِمْ نَوْمًا عَميقًا . أَمَّا أَنَا فَقَدْ حَفَانِي النَّوْمُ وَطَبْتُ طَوَالَ سَيْرِ سَاهِرًا
أَحَدِّقُ فِي النَّارِ الْمُتَكَاسِلَةِ وَأَفَكِّرُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ .



روبرت لويس ستيفنسون



كَانَ روبرت لويس ستيفنسون رَحَّالَةً مُغَامِرًا
وإنسانًا رومانسيًا، واشتهرَ - حَتَّى خِلَالَ حَيَاتِهِ
الْقَصِيرَةِ - كُروائِي نَاجِحٍ وشاعِرٍ وكاتبٍ
مَقَالَاتٍ مُتَمَيِّزٍ الأسلوبِ. وَقَدْ حَقَّقَتْ حَيَاتُهُ
بِالِإِثَارَةِ كَمَا حَقَّقَتْ رِوَايَاتُهُ الشَّهِيرَةَ
بِالْمُغَامَرَاتِ.

وُلِدَ ستيفنسون عامَ ١٨٥٠ في إدنبره،
إسكتلندا، وكانَ وَحيدًا لِوَالِدَيْهِ مَيَسُورَيْنِ. عاشَ طُفُولَةً هَادِئَةً مُنْطَوِيَةً، وعانىَ مِنْ
اضْطِرَابَاتٍ صِحِّيَّةٍ. كَانَ وَالِدَاهُ يَرْغَبَانِ أَنْ يُتَابَعَ عَمَلُ وَالِدِهِ كَمُهَنْدِسٍ لِلْمَنَارَاتِ فَالتَحَقَّ
بِجَامِعَةِ إدنبره لِدِرَاسَةِ الْهَنْدَسَةِ. وَسَرَّعَانَ مَا اكْتَشَفَ مَوْهِبَتَهُ فِي الْكِتَابَةِ وَتَحَوَّلَ إِلَى دِرَاسَةِ
الْقَانُونِ وَنَالَ شَهَادَةً فِيهِ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يُزَاوِلْ مِهْنَةَ الْمُحَامَاةِ إِذْ أَخَذَ بِشُغْلٍ بِرِحَالَتِهِ.

رَحَلَ ستيفنسون إِلَى فرنسَا لِأَسْبَابٍ صِحِّيَّةٍ وَوَصَفَ مُغَامِرَاتِهِ فِي كِتَابِهِ «رِحَالَاتٌ عَلَى
ظَهْرِ حِمَارٍ» (١٨٧٩) الَّذِي لَاقَى نَجَاحًا مَقْبُولًا. التَقَى - فِي فرنسَا - بِالْأَمِيرِكِيَّةِ فَانِي
أُوسبورْن، وَهِيَ امْرَأَةٌ مُطَلَّقةٌ وَلَهَا طِفْلَانِ، فَأَحَبَّهَا بِعُمُقٍ، حَتَّى إِنَّهُ قَرَّرَ أَنْ يُلْحَقَ بِهَا إِلَى
أَمِيرِكَا، فَسَافَرَ بِالْبَاخِرَةِ ثُمَّ بِالْقِطَارِ فِي ظُرُوفٍ مُرْهِقَةٍ كَادَتْ تُودِي بِحَيَاتِهِ. وَلَكِنَّهُ اسْتَرَدَّ
عَافِيَتَهُ، وَتَزَوَّجَ مِنْهَا سَنَةَ ١٨٨٠.

عامَ ١٨٨١ عَادَا إِلَى أوروپَا لِيَعِيشَا فِي إسكتلندا، حَيْثُ بَدَأَ رِوَايَتُهُ «جَزِيرَةُ الْكَتَر»
(١٨٨٣)، ثُمَّ انْتَقَلَا إِلَى سويسرَا، ثُمَّ إِلَى إنكلترا. وَفِي بَورْنماوث كَتَبَ ستيفنسون رِوَايَتَهُ
«دكتور جيكل ومستر هايد» (١٨٨٦) الَّتِي لَاقَتْ نَجَاحًا هَائِلًا، أَعَقَبَهُ نَجَاحُ رِوَايَةِ
«الْمَخْطُوف» (١٨٨٦).

إِغْتَلَّتْ صِحَّةُ سِتِفْنَسُونِ ثَانِيَةً ، فَقَرَّرَتِ الْعَائِلَةُ الْعُودَةَ إِلَى أَمِيرِكَا عَامَ ١٨٨٧ ، وَقَدْ
 أَمَضَى هُنَاكَ عَامًا أَنْكَبَ خِلَالَهُ عَلَى التَّأْلِيفِ . أَبْحَرَ هُوَ وَأَفْرَادُ عَائِلَتِهِ ، عَامَ ١٨٨٨ ، فِي
 يَخْتِهِمِ الْخَاصَّ ، إِلَى جُزُرِ جَنُوبِ الْمُحِيطِ الْهَادِي ، وَهَذِهِ الرَّحْلَةُ كَانَتْ تُرَاوِدُ أَحْلَامَ
 سِتِفْنَسُونِ وَلَطَالَمَا ظَهَرَ شَغْفُهُ بِمِثْلِهَا فِي كِتَابَاتِهِ . وَقَدْ ابْتَهَجَ سِتِفْنَسُونُ بِهَذِهِ الرَّحْلَةِ إِذْ لَاءَمَ
 الطَّقْسُ صِحَّتَهُ وَحَرَّكَ الْبَحْرُ مَشَاعِرَهُ وَأَثَارَتُهُ طَبِيعَةَ الْجُزُرِ وَسُكَّانِهَا . وَلَمَّا وَصَلُوا ، فِي سَنَةِ
 ١٨٨٩ ، إِلَى جَزِيرَةِ أُوْبُولُو ، وَهِيَ إِحْدَى جُزُرِ السَّامُوَا ، قَرَّرُوا الْاسْتِقْرَارَ هُنَاكَ ، فَبَنَوْا
 مَتَرِلًا فَخْمًا عَاشُوا فِيهِ سَعْدَاءً وَانْدَمَجُوا فِي الْمُجْتَمَعِ الْمَحَلِّيِّ .

كَتَبَ سِتِفْنَسُونُ « كَاتْرِبُونَا » وَبَدَأَ كِتَابًا آخَرَ ، وَلَكِنْ ، بِالرَّغْمِ مِنَ الْمُنَاسِبِ
 وَآثَرِ تِلْكَ السَّنَوَاتِ السَّعِيدَةِ ، فَإِنَّ حَالَتَهُ الصَّحِيَّةَ قَدْ سَاءَتْ . وَفِي الثَّلَاثِ مِنْ كَانُونِ الْأَوَّلِ
 (دَيْسَمْبَر) عَامَ ١٨٩٤ تُوُفِّيَ سِتِفْنَسُونُ وَدُفِنَ عَلَى رَأْسِ تَلَّةٍ تُشْرِفُ عَلَى مَتَرِلِهِ وَعَلَى الْبَحْرِ .



كتب الفراشة - القصص العالمية

- | | |
|-----------------------------|--------------------|
| ١ - الدكتور جيكل ومستر هايد | ٧ - شبح باشكيرفيل |
| ٢ - أوليفر ثويست | ٨ - قصة مدينتين |
| ٣ - نداء البراري | ٩ - مونفليت |
| ٤ - موبى دك | ١٠ - الشباب |
| ٥ - البحار | ١١ - عودة المواطن |
| ٦ - المخطوف | ١٢ - الفندق الكبير |



كتب الفراشة

القصص العالمية ٦. المسخطوف

اخترت مكتبة لبنان ناشرون أروع القصص العالمية، ونقلتها إلى العربية مبسطة، مراعية الأمانة في النقل والمحافظة على جزالة الأسلوب العربي وبلاغته، مع تشكيل كامل وضبط دقيق. وقد أشرف على هذه السلسلة خبراء دائرتي النشر والمعاجم في مكتبة لبنان ناشرون حتى توفر للقارئ العربي إنتاجاً فكرياً متفوقاً مظهرًا ومضمونًا.



مكتبة لبنان ناشرون



01C196806